جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الانسانية والاجتماعية
علوم انسانية : تاريخ
تاريخ معاصر

رقم: ----------

إعداد الطالب:
حمزة بوسعادة

يوم:24/06/2018

الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني

لجنة المناقشة:

محمد الطاهر بنادي	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
مصطفى تاوريريت	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش
الصادق بوطارفة	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس

السنة الجامعية:2017 - 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

"ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي و أن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ".

صدق الله العظيم – النمل

-19

إهـــداء

إلى من أرضعتني الحب والحنان، إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع بالبياض ..... والدتي الحبيبة.

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب، إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير..... والدي العزيز.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي .....إخوتي.

إلى كل أقاربي وأرحامي

إلى الذين أحببتهم وأحبوني، إلى القناديل التي أضاءت دربي وقاسمتني أجمل لحظات العمر..... أصدقائي الأوفياء

إلى زوجتي الغالية.....

إلى الذين بذلوا كل جهدٍ وعطاء لكي أصل إلى هذه اللحظة ..... أساتذتي الكرام

إليكم جميعاً أهدي هذا العمل

حمزة

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الحميد الشكور حمدا وشكرا دائمين بالعشي والإبكار ولا يزولون بزوال الليل والنهار.

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء وبرحابته سماحة العارفين

نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا الكريم الذي أشرف على تهذيب هذا البحث ولم يبخل علينا بالنصح والإرشاد "بنادي محمد الطاهر"

كما نتوجه بالشكر والتقدير الكبيرين لكل من أمدنا بيد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

مقدمة

إن الغزو الفكري والثقافي الفرنسي يمثل في واقع الأمر روح الاستعمار ومحركه الأول وقد ادعى الفرنسيون أنهم جاءوا لإنقاذ المجتمع الجزائري وتحريره وتخليصه من النير التركي

ولهذا فان الاستعمار الاستيطاني في حقيقته لم يكن سوى مرحلة انتقالية تحضر للاستعمار الثقافي الدائم وعليه فقد ركز الاستعمار الفرنسي في أول خطوة له على ضرب المؤسسة الثقافية الاجتماعية كالمدرسة والزاوية وقيم المجتمع وأعرافه وكل مايتعلق ويرتبط بهما من :آداب عامة و أخلاق و سلوكات ومواقف اجتماعية وثوابت الشخصية الوطنية والقومية من دين ولغة وتاريخ ....وغيرها

ولقد قام المؤرخون الجزائريون بتدوين تاريخ بلادهم خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي وذلك لأسباب شتى ، فعددت توجهاتهم بتعدد ثقافاتهم واختلفت أساليبهم ، وكانت تجربتهم قد امتزت بالثراء والتنوع وعبرت كتاباتهم التاريخية عن مواقفهم وآرائهم ، وكتاباتهم تعتبر مصادر محلية لا يمكننا الاستغناء عنها ومن خلالها خلد هؤلاء المؤرخون أنصع الصفحات في تاريخ هذه الأمة .

ولقد ساهم المؤرخون الجزائريون في التدوين التاريخي عامة ، وتدوين تاريخ الجزائر عبر العصور خاصة ، وكان لهم وجود ضمن كوكبة المؤرخين الذين تخصصوا في هذا النوع من الكتابات التاريخية ، فبنسبة للكتابات التاريخية الجزائرية فقد تميزت بقلتها في الفترة العثمانية أما في الفترة المعاصرة فهي مرتبطة بفترة الاستعمار الفرنسي التي تميزت بتأثرها بالأوضاع السيئة التي عانى منها المجتمع الجزائري في كافة الأصعدة .

ومن هذا المنطلق ظهرت كتابة تاريخية جادة من اجل الرد على حملات التشويه من قبل الكتاب الفرنسيين وكذلك لتأكيد الهوية الوطنية ، ومن بين المؤرخين الذين برزت كتاباتهم التاريخية المثقف الجزائري المعرب احمد توفيق المدني الذي تميزت كتاباته بالثراء والشمولية لكافة الفترات الزمنية ، فما من كتاب صدر عن الجزائر وتعرض للجزائر ، إلا وكان للمدني بصمة فيه .

أهمية الموضوع :

إن دراسة الأعلام والشخصيات وتتبع جهودهم لها أهمية كبرى في الحفاظ على رصيدها النضالي نصرة للحق ورد للظلم.

أ. **الأسباب الذاتية** :

أولا : رغبتنا في البحث في مواضيع تراجم الإعلام والشخصيات ، والبحث وفق المناهج الحديثة في دراسة التاريخ .

ثانيا : التعرف على أهم مؤلفات الشيخ أحمد توفيق المدني والتعرف على أسلوبه في الكتابة ومعالجة القضايا الكبرى .

ب. الأسباب الموضوعية :

أولا: قلة الكتابات حول هذا الموضوع فهي لا تغطي كل جوانبه فكانت لنا الرغبة المعرفية للمساهمة ولو بشكل قليل من أجل نفض الغبار عن تاريخ التراث الجزائري.

ثانيا : غياب دراسة خاصة بالشيخ أحمد توفيق المدني كمؤرخ كان له الفضل في التأسيس لمدرسة تاريخية وطنية ، دراسة علمية وأكاديمية من قبل الباحثين ن فإذا كانت الشخصيات الوطنية الخرى أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الشيخ البشير الإبراهيمي ، الشيخ العربي التبسي ، الشيخ مبارك الميلي ، فرحات عباس وغيرهم قد حازوا اهتمام الباحثين ، فإن كتابات الشيخ أحمد المدني ظلت بعيدة عن تناول أقلام الباحثين الجامعيين خاصة .

ثالثا : محاولة تسليط الضوء على الأساليب التي سلكها المدني لطرح أفكاره وتجسيد جهوده في قطاع الدفاع عن الوطنية وهوية للشعب الجزائري .

أهداف الموضوع :

انطلاقا مما سبق فان الهدف من هذا البحث يكمن في التعريف باحمد توفيق المدني كمصلح جزائري والكشف عن الأساليب التي استعملها المدني من خلال الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية الامة الجزائرية .

إشكالية البحث والتساؤلات الفرعية :

ومن اجل تحقيق اهداف الموضوع كان جديرا بنا ان نطرح الإشكالية الرئيسية التي تتمحور حول البحث وجاءت صياغتها كالأتي :

الى أي مدى ساهم احمد توفيق المدني في الكتابة التاريخية ؟

- من هو الشيخ أحمد توفيق المدني ؟
- هل كانت كتاباته عفوية أم بدافع حماسي وطني ديني أم كانت مبنية على أسس ومناهج علمية ؟
- كيف كانت نظرة أحمد توفيق المدني للكتابة التاريخية ؟

عرض الموضوع:

ولمعالجة هذه الإشكالية اتبعنا الخطة التالية التي استهليناها بمقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، وملاحق وأخيرا فهرس للموضوعات ، تتصل كلها اتصالا وثيقا بالموضوع.

- ففي **الفصل الأول** : عنوانه احمد توفيق المدني وتناولنا فيه شخصيته من حيث النشاة الاجتماعية وعوامل تكوينه الفكري والثقافي ووقفت على نشاطه قبل الثورة ومساهمته في التحضير لها لارصد بعدها موقفه من اندلاعها ومبررات ذلك والدور الذي لعبه فيها حتى الاستقلال وانهيته باراءومواقف لمجموعة من الكتاب والشخصيات الفكرية حول شخصية المدني .
- أما **الفصل الثاني** : فقد درسنا فيه الكتابة التاريخية للشيخ أحمد توفيق المدني من خلال معرفة رأي الشيخ ومفهومه للتاريخ ، ثم تناولنا احمد توفيق المدني ونظرته للكتابة التاريخية ، ثم تطرقنا لأهم الكتب التاريخية التي خلفها الشيخ توفيق المدني والمتعلقة بالتاريخ للقطر الجزائري تتمثل في كتاب الجزائر ، قرطاجة في أربعة عصور ، عثمان باشا داي الجزائر ، ثم قمنا بعد ذلك بدراسة موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته .

- أما**الفصل الثالث** : فقد تناولنا فيه الكتابات التاريخية بين المدرستين الفرنسية والجزائرية فقد درسنا فيه المدرسة التاريخية الاستعمارية ثم تطرقنا الى موقف المدرسة من المقاومات الشعبية .وبعدها تناولنا المؤرخين الفرنسيين وكتاباتهم التاريخية (كلود فاتان نموذجا) ثم انتقلنا الى المدرسة التاريخية الجزائرية وانجازاتها .

مناهج البحث :

من اجل معالجة الموضوع اتبعنا المناهج التالية :

- **أولا** :المنهج التاريخي الوصفي : وقد استخدمته في سرد الأحداث التاريخية وترتيبها حسب التسلسل الزمني .
- **ثانيا** : المنهج التحليلي : وقد سلكناه في دراسة وتحليل الوقائع ، واستقراء المادة الخبرية
- التي تضمنتها هذه الكتابات والخروج منها بفوائد تثري البحث التاريخي .
- **مصادر ومراجع الموضوع** :

واعتمدنا في موضوعنا على مجموعة من المصادر والمراجع منها :

اولا :**المصادر** :

- أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، الجزء الأول بمختلف أجزاءه .
- أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر .
- أحمد توفيق المدني ، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ .
- أحمد توفيق المدني ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار1754 – 1830.
- أحمد توفيق المدني ، رد أديب على حملة أكاذيب .

ثانيا :المراجع :

- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر .
- ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي .
- بوعزة بوضرساية ، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية .

- عبد القادر خليفي أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر .

صعوبات الدراسة :

إن إنجاز أي بحث لا يخلو من الصعوبات التي قد تعترض الباحث في فترات إنجازه للمذكرة، وفيما يتعلق بهذا البحث فقد واجهتنا بعض الصعوبات .

أولا : تشتت المادة الخبرية في مختلف دور الأرشيف والمكتبات العامة والخاصة ، وهو ما أخذ الجهد الكبير الذي تطلبه البحث في الحصول على المصادر والوثائق خاصة الدوريات والصحف، وتكمن الصعوبة في كون بعضها غير موجود أو غير مرتبة .

ثانيا : قصر المدة الزمنية المخصصة لإعداد هذه المذكرة وهي سنة واحدة فقط لأن البحث يتطلب وقتا أكثر للإحاطة بالمادة الخبرية ، خاصة العمل التاريخي الذي يعتمد على الوثائق والمصادر والمراجع المتنوعة ، ومهما يكن من شأن الصعوبات التي ذكرتها فهي في الحقيقة تندرج ضمن وسائل البحث وأدواته.

أولا: النشأة الاجتماعية والتكوين الثقافي والفكري لأحمد توفيق المدني:

1-المولد والنشأة

"...كان احمد توفيق المدني ذا شخصية خيرة وطيبة،يحاول قدر استطاعته أن يفيد غيره،حيث انظم لجمعيات كثيرة ونظم نواد وندوات اظافة إلى مشاريع و مؤسسات تربوية ثقافية، وكذلك محاضرات ومنظمات، وبفضل المدني عرف طلاب المدارس العربية ." [1]

أحمد توفيق المدني شخصية جزائرية (أنظر الملحق رقم **01**) الأصل تونسية المولد والنشأة، ولد في الفاتح من نوفمبر سنة **1899**م بتونس العاصمة من أسرة جزائرية الأصل؛ أبوه محمد بن أحمد بن محمد المدني القبي الغرناطي، من السادة الأشراف. ولد أبوه بالجزائر العاصمة. وكان جد المدني أمين الأمناء؛ أي شيخ بلدية الجزائر العاصمة.[2] نشأ في أسرة كريمة متعلمة ومحافظة أمه عائشة .كان لامه بالغ الاثر في تربيته التربية الدنية والخلقية؛ حيث علمته في طفولته الأولى القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية. يقول المدني في ذلك:

"... وماكان حديثها معي إلا عن الحرام؛ وهو كل خبيث من القول أو العمل. و الحلال وهو العمل الصالح الطيب...، وعن الفضائل التي يتمتع بها الكرام من الرجال وعن طبائع السوء التي تردي صاحبها وتهوي به الى الهاوية "[3].

وهو في سن الخامسة من عمره إلتحق بمدرسة القرآن وكان يديرها الشيخ محمد الصغير. وفي الكتاب تعلم المدني القرآن الكريم وعلوم الحديث واللغة العربية وبعض المعارف الأخرى التقليدية. تأثر منذ طفولته بالقراءة والمطالعة للكتب والصحف والمجلات ومن أشهر تلك الصحف التونسية آنذاك التي كان يقرأها: الرشدية، المرشد، التقدم، المنير، الإتحاد الإسلامي. وما كاد

---

[1] – مدني بشير، "علم من معالم المدرسة الجزائرية" إتحاد المؤرخين الجزائريين (بواكير)،الجزائر، ط1، 1988، ص 140.

[2] – مدني بشير، المرجع نفسه، ص 135.

[3] – احمد توفيق المدني، حياة كفاح ، ج1، الجزائر ،دار القصبة، 2007 ،ص 118.

يصل سنة **15** عاما حتى أصبح أحد المشاركين في تحرير جريدة الفاروق، أي سنة **1914**م، وكان قبلها قد دخل المدرسة الخلدونية بالزيتونة مابين سنتي **1915/1913**م.

كل هذا العلم في حياة احمد توفيق المدني ان دل على شيء فانما يدل على ذكاءه وفطنته ويذكر – هو نفسه – أنه كان سابقا لسنه فيقول: "وهل كنت حقا صبيا؟ إنني لفي شك من ذلك مريب! ...، لم أكن ألعب مع الأطفال، وأنا أسمع من وراء المنزل صراخهم." [1]

وكانت الوطنية تجري في عروقه فقد شارك في العمل الوطني التونسي مبكرا؛ حيث كان يلتقي برفاقه في النضال في منزله، ليتحدثوا حول الأوضاع المحلية والعالمية، ثم يفترقوا بعد إحراق الراية الفرنسية! ؟دليلا على رفضهم لإدارة الاحتلال، ومن الأحداث الكبيرة التي أثرت في حياته:

–الانقلاب العثماني ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة **1909**.

–أحداث مقبرة الجلاز، التي وقعت بين المسلمين والفرنسيين بتونس العاصمة سنة **1911**.

–قيام الحرب العالمية الأولى سنة **1914** حتى سنة **1918**، وتجنيد التونسيين فيها إجباريا[2].

بدأ مبكرا نشاطه في المجال الإعلامي والثقافي. ومما نشره جريدة الفاروق في **1914/08/27** مقال بعنوان:"كيف ننقذ وطننا؟"؛ فيه تناول أسباب تعاسة الشعب التونسي وحصرها في ثلاث:

1–اهماله لدينه **2**– تغييره لعاداته **3**–عدم اهتمامه بلغة آبائه وأجداده.

وقد إقترح حلولا أربعة لذلك: **1**–تعليم البنات **2**– تعليم اللغة العربية ونشرها **3**– إحياء العلوم ونشرها **4**– ترك الكسل والإقبال على تعلم الصناعات المختلفة.

---

[1] – احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 118– 81.

[2] – مدني بشير، المرجع السابق، ص 136.

ثم يتساءل بأسى وألم:"...بالله ما ضرنا لو كان فينا مهندسون؟ ما ضرنا لو كان فينا كيميائيون من جنسنا؟" [1]

ويظهر فعلا أن المدني –كما أسلفنا– قد سبق عصره في مجال التفكير في أسباب النهضة، كما تبدو ملامح الانفتاح العقلي واضحة في عباراته وإشاراته. شارك المدني في إنشاء تنظيم وطني ثوري ضد الاستعمار الفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى، حيث عمل مع: أحمد نجاح، ومحمد النيفر، ومحمد السعيد الخلصي، والهادي مزاح...(وجميعهم مثقفون تونسيون ساهموا في النهضة التونسية والعربية الحديثة)، وبعد عدة لقاءات واجتماعات وضعت خطة للتنظيم تقوم على مبادئ سبعة من بينها بث الدعاية ضد التجنيد الإجباري،الإتصال بقبائل بني زيدان بجنوب تونس، مهاجمة الحامية الفرنسية بقفصة و الحامة، الإتصال بالطلبة الجزائريين بالزيتونة،إنشاء شفرة خاصة للاتصال بالمناضلين، وقد اتصل بالشيخ: على فارس؛أحد زعماء قبائل بني زيد بالجنوب التونسي، تحت ستار المتاجرة، وقد كانت تترصد نشاطه عيون إدارة الإحتلال وجواسيسها ومن بينهم: البشير بوخريص. وقد نجم عن نشاطه السابق إعتقاله وسجنه يوم **1915/02/14** لمدة أربع سنوات وأطلق صراحه في **1918/11/01** وتزامن ذلك مع نهاية الحرب العالمية الأولى. غير أن السجن للمدني أفاده و كان مدرسة تعلم فيها الكثير من الدروس والعبر؛ التي زودته بشجاعة وخبرة مكنته من مواجهة معطيات حياته المستقبلية المحفوفة بالمخاطر. حيث يؤكد:"إنني لم أكن مظلوما حينما زج بي في السجن...، كما أنني أحسنت استعمال سنوات السجن فقد تعلمت المطالعة والدراسة، وفقهت في علوم الدين والعربية وعلوم الحياة وكذا تعلمت اللغة الفرنسية...، السجن مهد لي مكانا محمودا بين قومي ومركزا ممتازا في العالم الإسلامي." [2]

بعد اطلاق صراحه باشر المدني نشاطه الفكري والسياسي "ضمن الحزب الدستوري التونسي القديم"، كما نشط في سبيل إنشاء "لجنة الخلافة الإسلامية"؛ بعد سقوط الدولة العثمانية، وساهم مع شخصيات وطنية تونسية في إنشاء "المجمع العلمي التونسي" وكذا "الرابطة القلمية التونسية" سنة

---

[1] – مدني بشير، المرجع السابق، ص 136.

[2] – المركز الوطني للدراسات التاريخية، مجلة التاريخ، عدد 18، الجزائر ،1985، ص ص 23،26.

1924م. أما نشاطه الفكري فهو متنوع وثري. من أهمه تأليفه كتابة الشهير: "تقويم المنصور" في خمسة أجزاء في الفترة مابين **1922**–**1930** وعمره لم يتعد **23** سنة **!**. وهو كتاب ذا مادة علمية ثرية.

نفي إلى الجزائر: في: **05** جوان **1925**م، بعد إزدياد نشاطه ضد الإدارة الاستعمارية، حيث أزعجتها كتاباته وخاصة بعد نشره مقالا في جريدة" إفريقيا" عن ثورة عبد الكريم الخطابي يمجد فيه الثورة في الريف المغربي، ويفضح السياسة الاستعمارية هناك في تونس وفي غيرها وهو ما أدى إلى توقيع قرار نفيه إلى الجزائر، وقد أخبره العميل الفرنسي "البشير بوخريص" بأمر النفي[1]، وضرورة حضوره إلى مركز الشرطة، حيث أبلغوه رسميا القرار وسيق المدني "في سيارة أخذته إلى منفاه في الجزائر· بلد الآباء والأجداد وقد قال أخوه الأصغر "حسن المدني" بعد علمه خبر النفي "لنعم النفي إلى بلد الأباء والآجداد، بلد التضحية والجهاد".[(2)]

وكان نزوله الأول بعنابة ومنها قسنطينة التي مكث بها أسبوعا مليئا بالإتصالات وتجديد الذكريات مع زملاء الدراسة وأصدقاء الأمس، لينتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة حيث يستقر به المقام بين ذويه وأعمامه، وأبناء وطنه الأصلي. [(3)]

واصل في الجزائر العاصمة نشاطه الفكري والثقافي والسياسي وخاض إلى جانب بني وطنه المعركة الفاصلة ضد المستعمر الفرنسي في ساحة الكفاح السياسي الثوري حيث واصل الكتابة والتأليف، وساهم فكريا وثقافيا في تأسيس "نادي الترقي" سنة **1927**م، وشارك أدبيا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سنة **1931**م وانضم إليها رسميا سنة **1951**م ليعينه مؤتمر الصومام عضوا في المجلس الوطني للثورة، وممثلا للجبهة بالقاهرة سنة **1956** حتى سنة **1958**م، شغل في أول حكومة مؤقتة للثورة، منصب وزير الثقافة من سنة **1958** إلى **1961** ثم وزيرا مفوضا للثورة والجبهة بالجامعة العربية حتى نهاية الثورة واستقلال الجزائر.في أوت **1962** يعين وزيرا للأوقاف في حكومة الجزائر المستقلة، وكان له الدور الأساسي في فتح معاهد التعليم الأصلي

---

[1] - مدني بشير، المرجع السابق، ص 136.

[(2)] – مدني بشير،المرجع السابق، ص 138.

[(3)] – احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 24.

بالجزائر؛ التي كونت آلاف الإطارات الجزائرية المعربة، وقد زاد عددها عن **17** معهد إسلاميا. [1] تقلد المدني مناصب مرموقة أخرى عديدة في الدولة الجزائرية المستقلة الحديثة حيث عين سفيرا للجزائر في إيران سنة **1966**، وانتخب سنة **1967**م عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة حتى سنة **1970**م ثم سفيرا للجزائر في دول: العراق وتركيا وباكستان منذ سنة **1971** حتى سنة **1975**م، ليكتسب بذلك تجربة وخبرة في مختلف الميادين خاصة الميدان السياسي [2].

عاد إلى الجزائر بعد سنة **1975**م. ليعين مستشارا مؤرخا للمركز الوطني للدراسات التاريخية "أشرف على القسم العثماني حتى وافته المنية في: **1983/10/18**م عن عمر قارب **84** سنة، قضى منه **58** سنة بوطنه الأصل الجزائر باذلا جهده العلمي والتاريخي والسياسي لخدمته بكل إخلاص وتفان وتضحية فكان نموذجا ومثالا للوطني الوفي لمقومات شعبة وإرثه الحضاري والثقافي.

2-الآثار العلمية والتاريخية لأحمد توفيق المدني:

برز المدني كواحد من المناضلين والمجاهدين الأبطال، وارتبط اسمه بمقارعة الاستعمار فكلفه ذلك عناء وسجنا ونفيا، لكنه لم ينه ذلك عن تنويع نشاطه حيث برز من الناحية العلمية والفكرية، ككاتب لامع، مؤرخ مقتدر، وصحفي خبير...، فكان إنتاجه العلمي غزيرا ومتعدد النواحي،[3] توزع بين العمل الصحفي إلى التأليف العلمي والتاريخي الذي أدخله عالم المؤرخين الكبار ومن أبرز آثاره:

في جريدة "الفاروق التونسية" منها مقالات "رسالة تونس إزاء جمعية الأمم" و" الحرية ثمرة الجهاد" و "تاريخ كفاح ايرلندا"، وغيرها وكتب في العديد من الصحف والمجلات الجزائرية بعد نفيه إلى الجزائر، وكانت منابر "الشهاب والبصائر" حافلة بكتاباته، حيث كان محررا للصفحة السياسية الداخلية والخارجية بالصحيفة الأولى أزيد من **10** سنوات حتى تاريخ احتجابها عن الصدور عشية

---

[1] – مدني بشير ، المرجع السابق، ص 138.

[2] – عبد القادر خليفي : أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر 1899 – 1983 م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2007 ، ص ص 51، 52.

[3] – يوسف قاسمي، المثقفون الجزائريون المعربون و الثورة التحريرة ، (1954– 1962 م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير ، قسم التاريخ جامعة الحاج لخضر باتنة ، السنة الجامعية 2001 م، ص 49.

اندلاع الحرب العالمية الثانية **1939** م، كما كان محرر البصائر خلال فترة الخمسينيات خاصة حتى توقفها عن الصدور سنة **1956** م، وكتب المدني كتابه الشهير "تقويم المنصور" في الفترة من **1922–1930** م في خمسة أجزاء وألف "قرطاجة في أربعة قرون" أو "تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام" سنة **1927** م، و" كتاب الجزائر" سنة **1931** م، فكان كما قال عمه صاحبه:"...فتحا مبينا نزع عن الشعب كل الشعب غشاوة الجهل المطبق"[1]، وكتابه "محمد عثمان باشا داي الجزائر" سنة **1938** م، وجغرافية القطر الجزائري سنة **1948** م وكتاب "هذه هي الجزائر" سنة **1957**، ومؤلف "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا**(1492–1792)**" سنة **1968** م، وختم مؤلفاته بتاجها:" حياة كفاح"(مذكرات) في ثلاث أجزاء زاد عدد صفحاتها عن **1486** صفحة، وقد زادت مؤلفات المدني عن **20** كتابا، والملاحظ أن جلها ركز على تاريخ الجزائر في كل عصورها ومن ثم فلا عجب أن يعتبر المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية،[2] كما قال وكتب الأستاذ بشير مدني وقد أشاد بالجهود العلمية والتاريخية لأحمد توفيق المدني كثير من الكتاب والمؤرخين المعاصرين، منهم الدكتور "الجيلالي صاري" والأستاذة "أنيسة بركات" والشيخ "عبد الرحمان الجلالي والدكتور أبو القاسم سعد الله وغيرهم كثيرون، وفيما يلي شهادتين لبعضهم:

يقول الدكتور الجيلالي صاري عن مؤلفات احمد توفيق المدني:"...لابد من إبراز الأهمية العلمية والوثائقية وحتى البيداغوجية بالأخص لإنتاج فقيد الجزائر والعروبة الشيخ توفيق المدني، وهي تلك الشخصية الفذة الفريدة من نوعها خلال هذا القرن، والتي جندت كل قواها وإيمانها منذ مطلع هذا القرن..".

أما الدكتورة أنيسة بركات (الكاتبة الجزائرية المعروفة)، فقد قالت عن المدني وأعماله وجهاده:"...يعد من البحاثة البارزين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في بلادنا خلال

---

[1]– مدني بشير، المرجع السابق، ص 145.

[2] – بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، دار الحكمة ، الجزائر، 2006 م، ص 100 .

فترة خطيرة...إنه أديب وكاتب ممتاز له مؤلفات قيمة في التاريخ والجغرافيا، وله مقالات شيقة مناهضة للاستعمار، ولفائدة العلوم والمعرفة"[1].

وقد لعبت مجموعة من العوامل والمغذيات الفكرية والثقافية دورها في تشكيل وصناعة شخصية المدني وبروزها على الساحة الوطنية الجزائرية والعربية ومن هذه العوامل :

1- الوسط المحافظ ذو التاريخ الطويل في العلم والجهاد، والميراث الأدبي والثوري وتمتع أسرته بوضع مادي ميسور ساهمت في النشأة الفكرية والثقافية المناسبة له، وكانت أمه هي المدرسة الأولى التي أخذ منها المدني "مبادئ العلوم والمعرفة".

2- إلتحاقه بالكتاب القرآني الذي أنشأه جماعة من فضلاء تونس وأسندوا إدارته للشيخ الفاضل "محمد الصغير" أحد المشايخ والعلماء التونسيين مع مطلع القرن 20م، حيث لقن فيه علوما متعددة قرآنية ولغوية وعصرية فتحت ذهنه وفتقت عبقريته وصقلت موهبته الفكرية وقد تدعم ذلك بعد إنخراطه في "المدرسة الخلدونية" بجامع الزيتونة مركز العلم بتونس[2].

3- إنخراطه المبكر ضمن العمل الصحفي والسياسي الوطني، مما ساعده على مخالطة نخبة المجتمع ومثقفيه، أكسبه ذلك تجربة وخبرة، قومت مساره الثقافي، ومكنته من النبوغ والعطاء المبكر.

4- دخوله السجن وهو دون 15 ربيعا. والذي حوله إلى مدرسة تعلم فيها فنون المعرفة والحياة معا .

5- دخوله عالم الكتابة الصحفية والتأليف العلمي التاريخي وهو في سن 23 مما أعطاه جرأة وشجاعة أدبية صقلت فكره وموهبته وأدخلته عالم المثقفين الكبار المنشغلين بقضايا الأمة المصرية، وهمومها في النهضة والحضارة العربية.

6- نفيه إلى الجزائر وطنه الأم والشحنة التي غذت نشاطه بمساعدة من رحلات الجزائر وعلمائها وخوضه إلى جانبهم غمار النهضة الثقافية والسياسية الوطنية.

---

[1]-مدني بشير ،المرجع نفسه، ص ص 141- 142.

[2] - يوسف قاسمي، المرجع السابق، ص49.

7- التحاقه بالثورة التحريرية سنة **1956**، وتقلده لمسؤوليات سياسية وثقافية ودبلوماسية خلالها وبعد الاستقلال زودته برصيد كبير من الخبرة والتجربة الحياتية مكنته من البروز كنموذج حي للمثقفين السياسيين المعربين . [1]

ثانيا: موقف احمد توفيق المدني من اندلاع الثورة ومساهمته فيها:

1- نشاط احمد توفيق المدني قبل الثورة

بدأ نشاطه السياسي كمثقف في الحزب الدستوري التونسي القديم وأخذت صورته تلمع سياسيا وخطره يزداد في نظر المستعمرين الفرنسيين –مما دفعهم إلى التخلص منه ومن نشاطه، فكان أن صدر قرار النفي في حقه من تونس إلى الجزائر[2].(أنظر الملحق **2**) .

فنقلت الإدارة الفرنسية في **06** جوان **1925** إلى قسنطينة بالجزائر وفور وصوله إليها لم يتوان في ربط الصلة ومقابلة زملائه السابقين بالزيتونة وهم شخصيات ذات الوزن الثقافي والسياسي من رجال النهضة والإصلاح وكان الشيح "مبارك الميلي" أول من التقى بهم المدني في " البهو الصغير" بفندق فرنسا بقسنطينة الذي أقام به وقد واساه الميلي وخفف من وطأة نفيه وغربته عن عائلته الأسرية والسياسية، وقال له :" إن منفاك من تونس ليس مجرد حادث سياسي في نطاق محلي ضيق، بل إنما هو قدر من الله، لكي تبث في وسط هذا الشعب الجزائري...أفكارك وآراءك...والجزائر في حاجة قصوى إلى جهودك وإلى جهادك...إن الجزائر المدركة قد تفاءلت خيرا بمنفاك...". [3]

"...وإني لست مفرقا والله بن الجزائر وتنس، فتلك أرض الجهاد ومنبت الأجداد وهنا وطن الميلاد ومرتع القلاع والجلاد...، وقسما إن يميني في يمينك ويمين الثلة الصالحة العاملة بالجزائر ضمن دائرة الوطنية والعروبة والإسلام".[4]

---

[1] – يوسف قاسمي ، المرجع السابق ، ص 49.

[2] – الشيخ أوعمران وسعيدوني نصر الدين ، معجم مشاهير المغربة ، جامعة الجزائر ، 1995 م ، ص 484.

[3]– المدني بشير، المرجع السابق، ص ص 07 –08.

[4]– المدني بشير،المرجع نفسه، ص 09.

كان المدني معروفا لدى الأوساط الإصلاحية خاصة المتتبعة لأخبار نشاطات الحزب الدستوري التونسي وقد زارته شخصيات كثيرة منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، وتحدثوا في قضايا عدة: واقع الاستعمار، ووضع المجتمع الجزائري آنذاك.وضرورة الإصلاح وسبله وكان حديثا مفيدا، خرج منه المدني بخلاصة مفادها:

1-إبلاغه أن القوانين الاستعمارية الجائزة الصارم المطبقة في الجزائر لا تسمح بتكوين حركة سياسية[1].

2- أن هناك خلافا وصراعا كبيرا قائما بين الشباب الجزائري المثقف ثقافة فرنسية والشباب القليل المثقف ثقافة عربية إسلامية، بشأن مناهج التغيير والإصلاح والأهداف المرجوة منهما.

3- أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر قد أحاط نفسه بسياج قوي ومتين من عملائه والموالين له من شيوخ الطرق الصوفية ورجال الدين الرسميين وأعوان الإدارة الأهلية...يتكلمون كلامه ويبشرون بأعماله ويؤيدون وجوده ويدافعون عن طروحاته...!

4- أن آفات الفقر والجهل والظلم والإهمال، قد انتشرت في الشعب الجزائري، بسبب سياسيات فرنسا التعسفية والقمعية الممارسة دون شفقة أو ضمير!

5- أن معظم النخبة المثقفة والمفكرة قد حرمت من القيام بواجبها الوطني، بسبب الانتخاب الذي أشاعته فرنسا بينها والذي لا يمثل في واقع الأمر حزبا ولا فكرا،...بل هدفه تمزيق أواصر العلاقة بين أفراد الشعب وقيادته، وإضعاف كلمتهم وزعزعة الثقة بينهم! [(2)]

وهذه الجلسة كما يؤكد المدني تاريخية في حياته بالجزائر، استطاع من خلالها كشف النقاب عن أغلب المآسي التي يعانيها الشعب الجزائري، وأعطاه ذلك صورة حقيقية عنه وبذلك يظهر احمد توفيق المدني مجتهدا في أن يتعرف على المجتمع الجزائري ويفهمه ويعرف كثيرا عن طبيعة الأرض والإنسان. [(3)]

---

[1] - الشيخ اوعمران وسعيدوني نصر الدين، المرجع السابق، ص185.

[(2)]-الشيخ أوعمران وسعيدوني نصر الدين، المرجع السابق، ص485.

[(3)]- عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 107.

وفي خضم الحديث السابق بين المدني وزواره، وبعد انتقالهم إلى مدرسة الشيخ مبارك الميلي واصلوا النقاش وأثيرت مسألة التاريخ الجزائري، وغياب دراسة وطنية جزائرية نزيهة تعرف النشء والأجيال بحقيقة تاريخها وأمجاد ومآثر بلادها.

وفي سياق الحديث برز المدني كمتحدث عارف ومواكب لأحداث التاريخ، وهو ما حدا بابن باديس أن يطلب منه كتابة شيء عن تاريخ الجزائر يعرف فيه الجيل بماضيه وكفاح أجداده ويفند أغاليط المستعمر ويكشف زيفه وتحريفه، قائلا للمدني:" سواء أطال مقامك بالجزائر أو قصر، وسواء اهتديت إلى الكفاح السياسي أو أخفقت، فهذا واجب عيني قد وضعه القدر فوق عاتقك، فابدأ كفاحك بهذا ريثما يسر لك الله أسباب كفاح آخر".[1]

قبل المدني العرض وطلب ابن باديس، وأخذ – كما يقول– منذ تلك الليلة يفكر في إنشاء كتاب عن الموضوع المتقرح، تنفيذا للوعد الصادق الذي أخذه على نفسه حتى خرج على الناس بعد مدة بكتابه:" قرطاجة في أربع قرون، تاريخ شمال إفريقيا قبل الإسلام": فكان محاولة مفيدة للتاريخ لهذه الفترة، وتنفيذا لدعوى الفرنسيين الزاعمين بأن المنطقة رومانية، وأن البربر عنصر أوروبي الأصل، وأن المدنية الوحيدة التي عرفتها المنطقة هي المدنية الرومانية كما أن العرب الذين قدموا بعدها هم الذين حطموا آثارها، ونشروا الفوضى والخراب...؟ وغيرها من الإفك الذي كان يدرس في المدارس الفرنسية لأطفال الجزائر وشبابها، فكان إنجاز المدني وكتابه هذا إلى جانب "كتاب الجزائر" الذي أصدر سنة **1931**، عملا وطنيا وتاريخيا مرموقا وخالدا، وحق أن يوصف المدني بأنه:" أحد المؤرخين الجزائريين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة، فلم يكد يفتر في البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري...منذ بدئه هذه البحوث سنة **1925**"[2].

---

[1]–احمد توفيق المدني، المصدرالسابق، ص 18.

[2] – خير الدين شتره، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية و الفكرية التونسية (1900–1939)، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009م ، ص 95.

هكذا بدأ المدني نشاطه الوطني بالوقوف على ثغرة من ثغور الوطن التي طالما تسلل منها المستعمرون، وعبثوا بتاريخ الوطن وذاكرة الأمة، وبهذا فوت عليهم فرصة كبيرة، فكان بإحيائه للتاريخ الوطني، فضل السبق والشرف معا، والذكر أبد الدهر! وقد أشاد بذكر الكتابات التاريخية للمدني بعض المؤرخين المعاصرين أمثال: الدكتور أبو القاسم سعد الله، وقد عده إسهاما وطنيا في بعث وإحياء الاتجاه العربي للجزائر، وتاريخا للجزائر العربية الإسلامية.

وبذلك احتل هذا الالمام بالتاريخ مكانا بارزا في الحركة الوطنية بين الحربين، يقول سعد الله:"...كتب الشيخ أحمد توفيق المدني صفحات في تقويمه المعروف(بتقويم المنصور) أشاد فيها بتاريخ المغرب العربي، ثم نشر(كتاب الجزائر) الذي مجد فيه دور الجزائر العربية الإسلامية، وثلث بكتابه (محمد عثمان باشا) الذي لم يقتصر فيه على الترجمة لهذا الداي...، ولكنه ضمنه تراجم مختصرة لعلماء الجزائر خلال العهد العثماني وذكر كتاباتهم. [1]

من ثم يمكن أن نعده واحدا من مؤرخي الجزائر، ومن طبقتهم العليا بكتاباته المتعددة، خصوصا إذا أضفنا للمؤلفات السابقة، مؤلفيه الشهيرين: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، وكتابه المذكرات:(أنظر الملحق رقم 03) حياة كفاح الموزع في ثلاثة أجزاء، على ما اعتراها من نقص منهجي وتوثيق تاريخي دقيق، وإنشاء أدبي طبعها بطابع الرواية والقصة أكثر منه بطابع التاريخ العلمي!وربما نلتمس العذر للمدني نظرا لاقتناعه آنذاك بكتاباته التاريخية لم تكن موجهة للأكاديميين، بقدر ما هي موجة للطبقة الوسطى من المثقفين وجماهير الشعب، لتاريخهم الوطني، بدل أن يقرأوها ويأخذوها عن مؤرخي الاستعمار، المزيف لتاريخهم وهويتهم الوطنية والحضارية مع سبق النية والاصرار.

وبعد مدة قصيرة لم تتجاوز الأسبوع، قضاها المدني بقسنطينة – لكنها كانت حافلة بالنشاط– رحل المدني إلى العاصمة حيث استقر مع أفراد عائلته وأبناء أعمامه بقصر آل الموهوب بحسين داي، وهناك بدأ اتصالاته بوجوه الفكر والثقافة والأعيان وكبار التجار، يلتقي بهم ويتردد على

[1]–أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية،الدار العربية للكتاب،تونس،1976م، ص 132.

أنديتهم، ومن أبرز هؤلاء: إبراهيم الموهوب، وابن الأكحل، ويوسف بن سماية، وعمر راسم، وعبد الحليم بن سماية، وغيرهم.

وبعد حوالي شهر ونصف نظم له المجلس البلدي للعاصمة حفلا تكريميا بمناسبة عودته للجزائر، استغله المدني كمنبر لبث أفكاره وآرائه الإصلاحية بين الحاضرين – وكانوا من نخبة القوم وعليتهم– وألقى أول خطاب له، مما جاء فيه:"...أيها القوم إن لكم دينا هو أشرف الأديان...، ولكم لغة هي لغة القرآن...، ولكم وطن...من أغنى الأوطان وأشرفها وأعزها وأمجدها...، فالدين واللغة والوطن هو شعاركم الذي تفتخرون به...، ليؤمن كل واحد منكم بهذا الشعار: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا".[1]

والخطاب كان أول اتصال عام ومباشر بين المدني وأطراف المجتمع بفئاته الثقافية والسياسية– (أنظر الملحق **04**) كما يروي عن نفسه– فإن الخطاب مثلما أثار حفيظة وحنق البعض من موظفي الإدارة وأعوانها، والمعارضين لآرائه وتوجيهاته، فأسمعوه غليظ القول وسفيه الشتيمة؟ فقد وجد قبولا وترحيبا لدى البعض الآخر حتى أن أحدهم وهو: محمد المرابط(واحد من وجوه العاصمة وصاحب مال ونفوذ) قال المدني:" نجتمع عما قريب ونفكر في تكوين حركة صالحة" أما إبراهيم الموهوب– وهو أحد أقاربه– فقد قال له، وما في طريق العودة إلى البيت:" أشعر أن الجزائر ولدت اليوم من جديد"، بهذا استهل المدني نشاطه الإصلاحي –غير المرخص– بالعاصمة وأخذت دائرته تتسع باتساع أطرافها، وتمتنت صلاته ببعض رموز النهضة الوطنية من بينهم الشيخ عبد الجليل، المصلح المعروف، عبد الحليم بن سماية، أبرز وجوه الإصلاح والنهضة في مطلع القرن.

كما تمتنت صله بالفنان والإعلامي الجزائري عمر راسم صاحب جريدتي: الجزائر، " ذو الفقار" الشهيرتين اللتين كانتا تصدران مطلع القرن العشرين الميلادي الذي سيرسم له الصفحة الأولى لكتابته:" كتاب الجزائر"، ويرسل له رسالة وصفها المدني بأنها:" ربما لم يرسل مثلها لأحد"،

[1]– احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 43.

فهي رسالة عامرة بالملاحظات القيمة والأفكار النيرة، وقد أوردها المدني في مؤلفه حياة كفاح، الجزء الثاني وها نحن نقتطف جزءا مما جاء فيها، تعريفا بها وإبرازا لدور هذا الرجل، وتسجيلا لشهادة –نراها مفيدة– جاء في الرسالة:"...سبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم، أما أنت نعم الأخ، فلا لوم عليك إن نسيت أو إن أخطأت، ولا انتقادا لأن عملك هذا يغني الرواة تأليفك لكتاب الجزائر يعتبر عملا جليلا، لا ينكر قدره ومنفعته، إلا من لا إحساس له ولا مروءة".[1]

وقد ذكر عمر راسم العديد من الاسماء والتراجم –أشهرها عشرة– لعلماء الجزائر وأبطالها في القديم والحديث لم يدرجهم المدني في كتابه، وهو ما يدل –حسب تعبير المدني– على سمو مداركه واتساع معلوماته، كما التقى بالسياسي الجزائر الشاب– آنذاك– عباس فرحات، ودار بينهما حديث مطول في قضايا: الإصلاح والسياسة، وسبل مواجهة المستعمر...وحسب المدني فإن عباس أكد دعامتين اعتبرهما مناط العمل والنضال:

1– الأولى: فضح الاستعمار وبيان أساليبه واستهتاره بالقيم الانسانية.

2 – الثانية: إرغام فرنسا بالحجة والبرهان على تطبيق قوانينها التي تؤكد إدماج الجزائر واعتبار الجزائري فرنسي قانونا، وإعطائنا حقوق المواطنة الفرنسية وقد وافقه المدني في الدعامة الأولى، لكنه عارضه في الثانية بقوله:" أنا أتصور الجزائر دولة مستقلة، دولة عربية إسلامية"، فرد عباس بقوله:" إنني رجل واقعي لا أسير مع الخيال...، ولست مؤمنا إطلاقا بوجود شعب جزائري تواق للحرية والاستقلال".[2]

ومهما يكن الحديث الذي دار بين الشخصين فإن الذي نستنتجه هو أن المدني – وهو في منفاه وطنه الأصلي– قد دخل معركة النضال الوطني بشجاعة وثقة، وحاول فهم حقيقة الواقع الجزائري في ظل هيمنة الإدارة الاستعمارية، كما لم يكن منغلقا على نفسه وأفكاره بل متفتحا على كل الفئات الوطنية، ومجابهة الاستعمار وعملائه بعزة وطنية عالية، وهو ما مكنه من أخذ موقع

---

[1]– احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 56.

[2]– احمد توفيق المدني، المصدرنفسه، ص 59.

الاحترام والتأثير ضمن رواد الحركة الثقافية والإصلاحية في الجزائر قبل الثورة، وموقع الريادة في القيام بالمسؤولية الثورية بعد اندلاعها، وهو ما سنقف على بعض جوانبه في ثنايا هاته الدراسة. [1]

وإذا تجاوزنا المرحلة الأولى من اتصالات المدني، التي ركزت على جس نبض الواقع الجزائري للتعرف على معطياته وتكوين فكرة صحيحة حوله، فإننا نجده في المرحلة الموالية ينخرط كلية في النشاط الوطني، ويوقع حضوره القوي في إنشاء نادي الترقي بالعاصمة كمركز إشعاع ثقافي وحضاري ونواة فعلية للعمل السياسي الوطني،(أنظر الملحق **05**) وقد بدأ التفكير بإنشاء – كما يقول المدني– في صيف **1926**م، بمناسبة حفل عشاء أقيم بمنزل السيد التاجر الكبير:" محمد بن المرابط "ضم أكثر من **32** رجلا من الأعيان والفضلاء، وتم فيه مناقشة ومداولة فكرة إنشائه ليبثوا من خلاله أفكارهم وآرائهم – وكان الاقتراح منه– فاستحسن الحاضرون الفكرة، وذهبوا بعد ذلك في تنفيذها، حيث اختبر له مكانا قريبا من ساحة الشهداء حاليا[2]، وافتتح النادي رسميا في: **03** جويلية **1927**م وألقى المدني فيه خطابا كما اعترض أن كون في مجلسه الإداري حتى لا تثار فيه شبهة الارتباط أو الولاء "للحزب الدستوري التونسي" غير أن المدني -كما يؤكد– أنه كان:" خطيب النادي والمتكلم باسمه" مع رئيسه محمد بن ونيش".[3]

ويؤكد "تاريخية" هذه المساهمة في تأسيس النادي المذكور، المؤرخ الجزائري الدكتور أبو القاسم سعد الله بقوله:" كان المدني وغيره وراء تأسيس نادي الترقي بالعاصمة تأسيسا ثقافيا،...ولقب لعب دورا بارزا خلال الثلاثينات"[4]، ومهما تكن مساهمة المدني تنظيمية أو ثقافية، قبل تأسيس النادي أو بعده، فإن الذي يهمنا هي: تلك المشاركة الفعالة "المدني" في النادي، ونقله التجربة التونسية الدستورية ذات الجذور الجزائرية، للاستفادة منها في نشاط الحركة الوطنية،

---

[1]–عبد الغني حروز، نادي الترقي و دوره في الحركة الإصلاحية بالجزائر (1927– 1939 م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم التاريخ و الجغرافيا ، جامعة الجزائر ، 2008، ص 88.

[2] احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 110.

[3]– احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 110–112.

[4]– ابو القاسم سعد الله ، منطلقات فكرية، المرجع السابق، ص 96.

وبدون شك فإن تأثيرها سيكون فعالا بفضل السبق والنضج اللذان تتمتع بهما خصوصا في جانبها المتعلق بالصحافة العربية، والنشاط الثقافي وآليات وسبل التبليغ وأصالة التوجه، بفضل الزيتونة وهامش الحرية الكبير الذي كان يتمتع به التونسيون قياسا لواقع الجزائريين، كما شارك المدني من خلال نشاطات نادي الترقي في اجتماع "مؤتمر شمال إفريقيا" الذي حضرته شخصيات مغاربية كبيرة من تونس والمغرب الأقصى والجزائر، **(انظر الملحق06)** من مثل:

السياسي التونسي المنجمي سليم، والمؤرخ عثمان الكعاك، والعلامة المغربي إبراهيم الكتابي والسياسي عبد الخالق الطاريس، ومن الجزائر الساس الشاب عباس فرحات والدكتور سعدان، والشيوعي المعتدل الحكيم – كما وصفه المدني– عمار أوزقان[1]، إلى جانب محاولاته مع آخرين من أعضاء النادي إنشاء "البنك الإسلامي الجزائري"، و"جمعية الزكاء" التي لعبت دورا هاما في الاعمال الخيرية والإنسانية وسط الشعب الجزائري، وخففت الكثير من معاناته.[2]

أما تحركاته خارج العاصمة فقد شملت زيارته مع بعض أعضاء النادي وأصدقائه، وقد مست مدن الغرب الجزائري، كمستغانم وسيدي بلعباس ووهران وتلمسان...وغيرها، وكان دافعها الأول: بث الوعي ونشر الفكر الإصلاحي المروج داخل النادي وبين أعضائه، إلى جانب الدافع الآخر المتمثل في الإطلاع على التراث وآثار الشعب الجزائري، وجمع الوثائق والشهادات لكتابه:" كتاب الجزائر"، الذي كان عاكفا على إعداده، كما امتدت رحلاته نحو الشرق، إلى قسنطينة وبسكرة مرورا بباتنة ومعالمها التاريخية، وفي كل موقع كان المدني يظهر بمظهر رجل الفكر والتاريخ والإصلاح ولا غرو أن يقول عنه الأستاذ عمر بن قينة:" كان المدني رحالة مهتما بجوانبه التاريخية، وشؤون الوطن الاجتماعية والسياسية، كما بدأ في تنقله رجل فكر وإصلاح...، يحرص على النصح والإرشاد لتحريك الهمم، من أجل النهوض السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي".[3]

---

[1]– احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 114 – 115.

[2]– احمد توفيق المدني،المصدر نفسه، ص 116.

[3]– بن قينة محمد، المرجع السابق، ص 107.

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم ينتسب إليها المدني رسميا ولم يكن عضوا في مجلسها الإداري إلا سنة **1952**م (انظر الملحق**07**)، فإنه يؤكد – في روايته– أنه مع ثلاثة من أعضاء نادي الترقي وهم السادة محمد العاصمي، وعمر إسماعيل والشاعر محمد عبابسة، هم أصحاب فكرة إنشائها حيث اتفقوا حول الفكرة ثم تنفيذها بدعوة أكثر من مائة عالم ومرابط، وبمساعدة الشيخ حمزة بكوشة، كما أعد قانونها الأساسي توفيق المدني، لكنه انسحب من عضويتها حتى لا تتهم بارتباطها بالحزب الدستوري التونسي، والواقع التاريخي يؤكد أن جمعية التي تأسست في ماي **1931**م "بنادي الترقي" بالعاصمة، وكان المدني واحدا من المساهمين في التحضير آنذاك، هي ثمرة جهد وطني شامل في النهضة والإصلاح، بدأ يبرز منذ مطلع القرن **20**م واستمر يربو ويزيد ويعم إلى أن اكتمل بظهورها، فكانت نبراسا للعلم والمعرفة وإحياء وبعثا للأمة الجزائرية، بعد ضعف ووهن كاد أن يذهب بها، كما ساهم المدني "وكانت له – كما يقول الأستاذ عبد المالك مرتاض– يد بيضاء في عمل الشيخ مبارك الميلي" المتمثل في كتابه القيم "تاريخ الجزائر في القدين والحديث"، والذي يمثل بحق عملا تاريخيا ناضجا يستحق الاهتمام والتنويه، حيث كان المدني يجمع له المصادر الفرنسية ويترجم(يعرب) له بعض الفصول إلى العربية، وقضوا أكثر من عشرين يوما في عمل مستمر، يقول المدني في ذلك:"...وقضينا حوالي العشرين يوما في عمل مستمر...ونحن نقابل بين نص ونص، ونحكم مختلف الكتب،...وأقسم أنني ما عملت مع أحد عملا أحب إلي وأمتع نفسي...من عملي ذلك،...إلى جانب مبارك الميلي".[1]

وقد تبادلا رسائل بهذا الخصوص خاصة حيثما كان الميلي بالأغواط، لنفس الغرض وليس مستغربا ذلك خاصة إذا علمنا أن المدني كان على علاقة ممتازة مع الشيخ مبارك الميلي سواء في الزيتونة وهما طالبان، أو عند قدومه منفيا إلى الجزائر، وكان أول أصدقائه المستقبلين له – كما أشرنا من قبل– هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن المدني وبحكم ولعه بالدراسة التاريخية

[1]– مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر (1925م– 1954م)، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983م ، ص 210.

المتصلة بالجزائر، ونزعته الدينية في معالجة الوقائع التاريخية، لغرض صبها في مصب الإسلام إضافة إلى اتقائه اللغة الفرنسية – وجهل الميلي لها– كلها عوامل وقرائن تؤكد صحة ما ذهب إليه المدني بشأن مساهمته في كتاب الميلي الآنف الذكر. [1]

2 -نشاطه الاعلامي والثقافي

أحمد توفيق المدني من كتاب الجزائر الذين لم يكفوا الصحف والمجلات الوطنية قبل الثورة، وخلالها وبعدا الاستقلال، بمقالاتهم الأدبية والسياسية، وقد وهب المدني قلما سيالا وأسلوبا مؤثرا، وحجة بليغة مكنه من ترسيخ قدمه في ميدان الصحافة الوطنية، وكانت بداياته الأولى في صحيفة "الشهاب" التي كان يدير شؤونها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكتب فيها أكثر من عشر سنوات في عهد "الشهاب الأسبوعي"، إلى نهار "الشهاب الشهري" وقد تولى المدني تحرر قسمي: السياسة الداخلية، والسياسة الخارجية، خلال فترة الثلاثينيات من أول عدد صدرت فيها حتى آخره – عشية اندلاع الحرب ع **2**– **1939**م ويذكر المدني أنه كان وراء مقال عباس فرحات– السالف الذكر– (فرنسا هي أنا) لذي نشره سنة **1936**م، وأنه هو الذي أشار على ابن باديس بقوله:" أنسكت على هذه الدعوة الباطلة، وهذا المنكر العظيم؟...لابد من رد حاسم قاطع، نقول فيه بصراحة كلمتنا...، ونرفع عقيرتنا ببيان فكرنا مستقبل وطننا"، فقال له ابن باديس:" نعم أكتب الرد كما تشاء، ولنقل كلمة الحق لا غبار عليها...، أكتب وسأنشر المقال، وليفعل الله ما يشاء".[2]

ويدعي المدني أنه كتب المقال، ونشر في الشهاب، وكان له صدى إيجابيا وأثرا بالغا لدى الرأي العام الوطني...، لكن– يقول المدني– "تشارل أندري جوليان" في كتابه "مسيرة الشمال الإفريقي"، نسبه إلى الشيخ لبن باديس، وقد تبعه في ذلك من كتب بعده من المؤرخين والكتاب؟ أو تبرير المدني لادعائه أن المقال نشره دون إمضائه أي كتابة اسمه كي لا يقال أن من تأثير الجزب الدستوري.

---

[1]– احمد توفيق المدني ،المصدر السابق، ص ص 209 –210.

[2]– احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص ص 62 – 63.

كما نشر المدني مقالات في جريدة الإصلاح التي كان يديرها الشيخ الطيب العقبي في بسكرة ومن أشهرها مقالته بتاريخ **1930/02/27**م تحت عنوان "بين الموت والحياة" يعارض فيها التجنيس الذي روجت له الإدارة الاستعمارية خاصة مع احتفالات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر والتي وجدت استجابة لدى بعض النخب المفرنسة بل وعند بعض الجرائد ومنها جريدة الإصلاح نفسها فراسلها المدني برسالتين: الأولى خاصة للشيخ الطيب العقبي يلومه فيها على هذا الفعل والثانية لإدارة التحرير تتضمن مقاله الذي يرد فيه على هذه الدعوى، وفيما يلي مقتطف من المقال الذي يقول المدني:" أنه نشر في نفس الجريدة في التاريخ المذكور أعلاه جاء في المقال" إننا الآن في منعطف صعب من تاريخ حياتنا القومية وقد أصبح شعبنا فيما أرى جادا في اختيار طريقة مثلى ليسير عليها...طريقان قد فتحا اليوم في وجه الجزائر الفتاة...

أما الأول: فهو طريق التجنيس والتنازل عن القومية واللغة ونبذ التاريخ والتقاليد...

وأما الطريق الثاني: فهو طريق المحافظة على الذاتية الجزائرية، أي المحافظة على دين البلاد وعلى لغتها، وعلى تقاليدها...وعلى توثيق الرابطة بين حاضرها وبين تاريخها المجيد... فأي الطريقين يجب أن تسلك الجزائر وهي في فجر نهضتها الجديدة؟

أقول بكل صراحة، ولا أخشى أي اعتراض أن الطريق الثاني، طريق المحافظة المتينة على الذاتية الإسلامية العربية، هو وحده الذي يمكن أن يوصل الجزائر إلى غاية محمودة، وإلى مركز شريف. [1]

هكذا يظهر المدني كمثقف جزائري معرب متمسكا بوطنيته، ووطنه الجزائر رافضا لكل سياسات الإدماج التي تستهدف تذويب شخصيتنا القومية والحضارية لا يلين في موقفه ويصرح بقوله وكلمته دون مراهنة، خاصة إذا تعلق الأمر بقضية حساسة وخطيرة، كقضية الهوية والثوابت الوطنية والحضارية للشعب الجزائر.

[1]- احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 161 -164.

ويستمر المدني كاتبا إعلاميا وسياسيا بعد الحرب العالمية الثانية في جريدة البصائر ويزداد نشاطه الوطني كرجل إصلاح بعد انضمامه وعضويته الرسمية في الجمعية سنة **1952**م، ويشارك في مشروع الإصلاح الداخلي التنظيمي والثقافي للجمعية سنة **1954**م[1]، ويحرر الوثيقة باعتبار الكاتب العام الجمعية بخط يده ويوجهها باسم الجمعية الى الشيخ البشير الابراهيمي المقيم آنذاك في القاهرة. (انظر الملحق **08**).

ويواصل المدني نشاطه وعمله الدؤوب في المساهمة في العمل الفكري والثقافي كمثقف جزائري معرب، فكان مؤلفا طويل النفس تناول مواضيع شائكة أكثر ما كانت تاريخية أو جغرافية، كما برز كقلم في ميدان الصحافة والاعلام ينور الرأي العام الوطني بالأخبار والتحليلات ويزوده بالمواقف والقرارات، فساهم في التكوين الاعلامي والسياسي للمواطنين ونخب الوطنية بمختلف توجهاتها خاصة المعرب بها منها، ولم يتوانى المدني في المشاركة في إنشاء مدارس والمعاهد التعليمية وتأطيرها والقاء الخطب فكان يحمل بين حوائجه حماس الخطيب المحرض على فعل و العمل و استمرار مناضلا وطنيا، حتى اندلاع الثورة الحريرية سنة **1954**[2].

يتكلم المدني في مذاكرته حياة كفاح انه تنبه في شهر اكتوبر **1954**م بدنو أجل اندلاع الثورة في كلمة له ألقاها بعاصمة الأوراس باتنة بمناسبة افتتاح مدرستها التابعة لجمعية العلماء، ومما جاء في كلمة تلك قوله:"... من هذه الجبال الأبية الصامدة الرافعة رأسها للسماء،سيرتفع من جديد عما قريب، صوت الشعب القاهر الغلاب... ضد أركان الظلم والطغيان" [(3)]،ويعلق بعد ذلك أنه ما كان يومئذ يعرف توقيت إعلان الثورة، لكنه حسب زعمه كان يشعر بها بفضل حاسته السادسة الدقيقة جدا،ثم يواصل كلامه بأنه في اليوم الموالي لزيارته لباتنة أخذه الشيخ عمر دردور في سيارته وجاب به كل شعب ومراكز الأوراس، يشرح له حصانة مواقعها ويبين له أهميتها الاستراتيجية، لكن المدني وباعترافه لم يكن يفهم ما يريد أن يقوله له، وللأسف فإن حاسته

---

(1) – ابو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،ج1 ،لبنان ،دار الغرب الاسلامي،2005م، ص 63.

) – أبو القاسم سعد الله، المصدر نفسه، ص 63.[2] (

(3)– ابو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء، المرجع السابق ، ص 63.

السادسة لم تكن دقيقة جدا هذه المرة، وهو ما يعكس التناقض والازدواجية في رواية وحديث المدني[1].

ويذكر المدني بعد ذلك أنه كان يعلم موعد اندلاع الثورة، وأنها ستقع في عرة نوفمبر، وكان علمه بها من أحد موقدي الثورة وأنه أقسم له يمينا صادقا أنه لن يبوح باسمه لأحد، كما أن الأمانة التاريخية تفرض على صاحبها توثيق كلامه، وإلا عد ادعاء باطلا خاصة وأن المدني كتب هذا بعد الاستقلال يستمر المدني في ادعاءاته غير المبررة، بزعمه أنه – وحتى يكون شرف لشعبه تلبية نداء أول نوفمبر للجمعية، ولعله للمدني، فقد بادر إلى دعوة رجال الجمعية لعقد الاجتماع الإداري لها بقسنطينة في نفس يوم اندلاع ثورة نوفمبر **1954**، فانعقد وأنباء اندلاعها قد وصلتهم، فقرروا بإجماع: أنهم مع الثورة ثم في نهاية الاجتماع بعثوا بقرارهم الذي اتخذوه لكل رجال الجمعية وشبابها ونحن وبحكم عدم معايشتنا للحدث، وبعد زمنه عنا، ومن منطلق الدارس النزيه والباحث عن حقيقة موقف المدني والجمعية– أيضا– من الثورة سنترك مجال التحقق بشأن مزاعم المدني لرفقائه في الجمعية ومسؤوليها يتحدثون عن حقيقة ما جرى والموقف الصحيح الذي وقفه المدني وباقي رجال الجمعية من اندلاع الثورة؟ ونكتف فقط بالتعليق اللازم والضروري .

يذكر الأستاذ "محمد الطاهر فضلاء" وهو واحد من رجال الجمعية أن ادعاء المدني علمه بموعد اندلاع الثورة لا أساس له من الصحة، فما كان أحد من أعضائها يعلم من أمر الثورة شيئا قبل اندلاعها، لا توفيق ولا غيره يعلم.

ويؤكد الشيخ محمد خير الدين "النائب الثاني لجمعية العلماء أن توفيق المدني لم يكن يعلم بأمر الثورة، كما أنه لم يكن هو الداعي إلى اجتماع المجلس الإداري للجمعية، وإنما المجلس الدائم هو الذي دعا للاجتماع، وجمعية العلماء كان يرأسها الشيح محمد البشير الإبراهيمي الغائب آنذاك في مهمة بالقاهرة، ونائبه الأول الشيخ العربي التبسي والثاني الشيخ محمد خير الدين، أما توفيق المدني فلم يكن سوى كاتبا عاما للجمعية مهمته كتابة الاستدعاءات والمحاضر والبريد...إلخ، ولا

(1) – عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 511.

شأن له بقرار عقد الاجتماع أو عدمه، كما أن الاجتماع المنعقد بدار الطلبة بقسنطينة لم تكن له أية صلة بالثورة التي بدأت في نفس اليوم ولم يكن يعلم أحد عن أمر اندلاعها، وقد بلغتهم أنبائها من موظف بالدار المذكور كان يحمل جريدة الشؤون العامة لقسنطينة **La dépêche de Constantine** ومنها علم المجتمعون بأول أخبار الثورة المتفجرة في منتصف ليلة ذلك اليوم. [1]

أما عن كيفية التحاق المدني فيؤكد الشيخ محمد خير الدين[2]أنه وفي أواخر سنة **1955** تم بينه وبين عبان رمضان لقاء برفقة ابن خدة يوسف، وبترتيب من سعد دحلب بالعاصمة في منزل أحد أبناء إخوته على الساعة التاسعة مساءا، وتحدثا طول الليل طلب خلاله عبان منه المشاركة في الثورة، وتقديم من يثق فيهم من العلماء لنفس الغرض كما طلب منه أن يمثل الجبهة بالمغرب لدى سلطانها محمد الخامس الذي كان على صلة وثيقة بجمعية العلماء لتنديدها بموقف إبعاده في أوت **1952** في بيان رسمي لها ممثلين عن الجمعية وهما الشيخ العباس بن الشيخ الحسين والشيخ أحمد توفيق المدني على أن يلتحقا بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي "للعمل في المشرق لصالح جبهة التحرير، ومثله فعل عباس فرحات الذي عين معه "أحمد فرانسيس" و"أحمد بوعقل" وأبلغ المدني القرار وتم التحاقه بعد تلكؤ في الامتثال للقرار بحجة انشغاله بقضايا شخصية وعائلية، فحذره الشيخ خير الدين حسبما يروي الأستاذ فضلاء في كتابه الآنف الذكر بقوله له:" أما أعمالك وارتباطاتك ومشاريعك الشخصية فليست شيئا لواجب الثورة، وأما زوجتك وأسرتك فأنا أضمن التكفل بالإنفاق عليها، حتى تتهيأ الأسباب للالتحاق بك..." [3]، وهكذا تم التحاقه بالثورة وجبهة التحرير الوطني.

أما المدني فإلى جانب ما ذكره سابقا بشأن التحاقه بالثورة، فإنه يضيف أنه: وجهت له دعوة رسمية من الجبهة لمغادرة الجزائر والالتحاق بالوفد الخارجي للجبهة، واتصل به عبان رمضان، وقال له:" إننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي، فسر إليهم بأسرع ما يمكن، ولتعمر

---

[1]– عبد الرحمان بن العقون، المرجع نفسه، ص 511.

[2]– خير الدين شترة،المرجع السابق،ص85

[3]– فضلاء محمد الطاهر، التحريف والتزييف في كتاب "حياة كفاح"، الجزائر، دار البعث، 1982، ص 115.

ذلك الفراغ، وأعلم أن حظك في الجهاد هناك يعادل أو يفوق حظك لو أنك عدت إلى الجبل، وحملت بين إخوانك السلاح، السلاح يحمله كل المجاهدين أما القلم وأما الكلمة...فلا يقوم بأعبائها إلى الندرة من المجاهدين".[1]

تلك إذا خلاصة آراء وشهادات رفقاء المدني ومعاصريه فيما تعلق بموقف من الثورة وحيثيات التحاقه بها، ونحن نرجح آراء معارضيه ونتفق معهم في كون المدني لم يكن يعرف هو ولا غيره موعد اندلاع الثورة، وأن التحاقه بها لم يتم رسميا إلا في ندوة القاهرة يوم **1956/04/25**م، التي نشطها بمعية فرحات عباس والدكتور الأمين دباغين وأعلنوا فيها تنديدهم بجرائم الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري، وانتسابهم مع هيئاتهم إلى جبهة التحرير الوطني، ليس مستغربا طبعا أن يدعي المدني ما ادعاه بشأن علمه بموعد تفجير الثورة، وقد سبق أن عرضنا مزاعم كثيرة ادعاها المدني لنفسه من مثل أنه كان وراء تأسيس نادي الترقي وهو صاحب الفكرة، وأنه ثلاثة من أفراد النادي أصحاب فكرة تأسيس جمعية العلماء كما أنه واضع قانونها الأساسي. [2]

كما أن المدني زعم أنه صاحب الرد الشهير على مقال عباس فرحات سنة **1936** الذي نسب حسب رأيه لابن باديس، وأنه ساهم في إعداد بيان فيفري **1943** مع عباس فرحات...

وأخيرا ادعائه علمه موعد اندلاع ثورة نوفمبر، ومباركته الثورة...؟ كلها ادعاءات ومزاعم لم يقدم بشأنها المدني حجة مقنعة، أو دليلا ثابتا...وقد نشتط في تفسير مزاعم المدني إذا قلنا أنها تعود إما إلى رغبة جامحة في التزعم والتسيد ولو على حساب جهود الغير أو إلى تهشم في ذاكرة المدني جعله لا يفرق بين ما هو له وما هو لغيره، ومهما يكن الأمر فإن المدني التحق بالثورة وساهم فيها[3].

---

[1]–فضلاء محمد الطاهر،المرجع نفسه، ص 116.

[2]– أحمد توفيق المدني، المصدر السابق ، ص ص 13 –14.

[3] عاشور شرفي، معلمة الجزائر، القاموس الموسوعي، تاريخ وثقافة، احداث واعلام ومعالم، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص 124.

تبدو مشاركة المدني ومساهمته في الثورة ثرية ومتنوعة، فمن النشاط الإعلام وكتابة المقالات، وإطلاق التصريحات والمشاركة في تنشيط والمشاركة في تنشيط الندوات الإعلامية واللقاءات الصحفية، إلى الاتصالات الشخصية، والرسمية باسم الجبهة مع الشخصيات والمنظمات والهيئات المختلفة والدعاية للثورة إعلاميا وسياسيا إلى النشاط والتمثيل الدبلوماسي للثورة لدى الحكومات والمنظمات الإقليمية وقبله كان التأطير الثقافي لكوادر الثورة ونخبها المستقبلية، والاضطلاع بمهمات التربية والتكوين ورعاية شؤون الطلبة وخاصة المهاجرين والمغتربين منهم في المغرب العربي والمشرق وفي أوروبا وغيرها، تلك جميعها وظائف ومهام أدائها وأشرف عليها المدني يكد واجتهاد وتفان.

3-المدني وزيرا للثقافة في الحكومة الجزائرية المؤقتة

في الحقيقة أن نشاط المدني الإعلامي لم يكن وليد الثورة فحسب بل يمتد على صفحة تجربة طويلة تمتد إلى أواخر العشرينات من القرن **20**م، حيث كان يكتب بالشهاب في صفحتها الداخلية والخارجية، وقد سبقت الإشارة لذلك وبعد الحرب العالمية الثانية برز المدني كقلم لامع ودائم الحضور على صفحات البصائر بنشر الوعي الوكني، ويبشر بالمستقبل الذي تدك فيه حصون الاستعمار وتقوض أركانه،...وعند قيام الثورة وباتفاق العلماء كما يقول المدني أوكلت له مهمة التصرف في البصائر وتحرير افتتاحياتها، وهو ما مكنه من وضعها في صميم المعركة، وكان عليه كما يؤكد دائما مراعاة ثلاثة أطراف أو عوامل في كتاباته: [1]

الأول: الشعب يتولى المرافعة عن حقه في الحرية والاستقلال، وفصح أساليب الاستعمار وأفعاله المنافية للضمير والقوانين خدمة لقضيته الوطنية.

الثاني: توخى الحذر وتجنب ما يمكن أن تتخذ منه الحكومة ذريعة للإيقاع بالبصائر كمنبر إعلامي، وبالجمعية كإطار لها، فكان كما يقول يزن كل كلمة يخطها بميزان دقيق، دون أن يصاب الموضوع بأذى.

---

[1]– عاشور شرفي، معلمة الجزائر ، القاموس الموسوعي ، تاريخ ثقافة ، أحداث و أعلام ومعالم ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 2009،ص 124.

الثالث:الثورة، يعرض كل مقال افتتاح بصفة سرية على المكلف عن قيادة الثورة بالإشراف على العمل حتى تتوافق مع خط الثورة العام[1]تلك اذا خطة ومنهج المدني مع البصائر بعد اندلاع الثورة وحتى احتجابها سنة **1956**م.

من جانب آخر فإن المدني قام بناشط دعائي كبير لصالح الثورة، بعد انتقاله إلى القاهرة سنة **1956**م داخل الهيئات والجمعيات المصرية عبر الخطب والاتصالات وإدارة النقاشات، ومع هذه الجمعيات: جماعة الكفاح "التي كان يرأسها الأستاذ الأزهري الكبير، الدكتور عبد الله دراز" و"جمعية الشبان المسلمين" التي يرأسها العالم الشهير "أحمد الشرباصي" في **18** مارس **1956**م، وكانت علاقة الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" بهذه الجمعية حميمية، ولعله يكون صاحب الفضل في تمكين المدني من التعرف على رئيسها، والنشاط في مقرها بعد قدومه القاهرة.

ومعلوم أن مؤتمر الصومام المنعقد بالجزائر في **20** أوت **1956** اعتبر أول مؤتمر تنظيمي وسياسي ناجح للثورة كان أدرج اسم توفيق المدني ضمن الأعضاء الرسميين المشكلين للمجلس الوطني للثورة المنبق عن المؤتمر وهو ما رفع المدني إلى موقع المسؤولية السياسية في أجهزة قيادة الثورة، وسهل بالتالي عليه تحركاته كما أضفى عليها طابعا رسميا مكنه القيام بزيارات واتصالات في العديد من بلدان المشرق والمغرب على السواء من ذلك[2].

– زيارته لطرابلس ومقابلة الملك "إدريس السنوسي" يوم **23** ماي **1956** أي قبل مؤتمر الصومام رفقة الدكتور "الأمين دباغين" والتحادث معه بشأن الثورة.

– مقابلة "أمين عام الجامعة العربية"– آنذاك– السيد عبد الخالق حسونة" رفقة محمد خيضر يوم **20** جوان **1956**م، والتفاهم مع حول خطة العمل الإعلامي والدبلوماسي[3].

– زيارته إلى السودان يوم **17** أوت **1956** أي فترة انعقاد مؤتمر الصومام وتنظيم ندوة صحفية يوم **20** أوت **1956**م، للتعريف بالثورة وأهدافها المشروعة.

---

(1)– احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص62 – 63.

(2)

(3) – احمد توفيق المدني،المصدر السابق، ص 162 .

– حضوره مؤتمر الخريجين بدمشق في **1956/09/18** واستقباله من ممثل الجبهة بسوريا عبد الحميد مهري، ومناقشة واقع الثورة وطرق دعمها من الأشقاء.

– إرساله أكثر من **100** برقية لملوك ورؤساء الدول والحكومات الشقيقة بعد اختطاف طائرة الزعماء الخمس في **22** أكتوبر **1957** من قبل القراصنة الفرنسيين. [1]

كما نشر المدني يوم **06** جانفي **1957**م في وكالات أنباء الشرق الأوسط تصريحا بشأن إصلاحات "غي موليه **G-MOULIER**" رئيس الحكومة آنذاك– مما جاء فيه اقوله:"...إن أي إصلاحات تدخل على نظام فاسد لا تكون إلا ضمادة فوق رجل من خشب والشعب الجزائري يرفضها رفضا باتا قاطعا، والثورة الجزائرية مستمرة بعنف وإيمان لا تعبا بمرور الأيام...إلى أن تعلن فرنسا أنها قبلت المبدأين الأساسيين للثورة الجزائرية– الاعتراف بحق الجزائر في الاستقلال أولا، قم المفاوضة مع ممثلي جبهة التحرير...من أجل تحقيق الاستقلال ثانيا".[2]

ويبدو المدني في هذا التصريح أكثر راديكالية في لغته ولهجته عما ألفناه سابقا..؟ ولعل ذلك يعود إلى تحرره النفسي "من هاجس التوجس" ووسواس" الحزب الدستوري، الذي ظل يطارده مدة طويلة، كما أن المدني أصبح يتحدث من موقع المسؤول في الثورة، وهو ما يضمن له الحماية، ويفرض عليه التجاوب مع الخط الثوري الذي سارت عليه الثورة التحريرية وه خدمة فكرة الكفاح المسلح، ويتموقع المدني ويعلو شأنه أكثر بفضل كفائته وأهليته الإعلامية والسياسية بعد تشكيل مكتب خاص تحت رئاسته، ضمن هيئة وفد جبهة التحرير بالقاهرة وعضوية السادة:" أحمد فرنسيس" كاتب التنسيق و"العياش بن الشيخ الحسين" عضوا و"حامد روابحية" وعبد الرحمان كيوان" أعضاء وتسند إلى هذا المكتب تنفيذ المهمات التي أوكلت للجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن قرارات مؤتمر الصومام إلى جانت الاضطلاع بالمهام الدعائية والدبلوماسية مع حكومة القاهرة والجامعة العربية والشخصيات والمنظمات العربية وغيرها. [3]

---

[1]– احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 162

[2]– بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص 352.

[3]– احمد توفيق المدني ،المصدر السابق، ص 360.

وتطبيقا لتوصيات اللجنة المذكورة، قام توفيق المدني "بجولات دعائية لصالح الثورة وباسم الجبهة إلى بلدان عربية وإسلامية لغرض كسب الدعم والتأييد المادي والمعنوي، وجمع الأموال للثورة، ومن هذه التحولات ما هو مبين في الجدول. [1]

الرقم	اسم البلد	تاريخ الزيارة	الرقم	اسم البلد	تاريخ الزيارة
01	سوريا	1957/11/25	06	الأردن	1957/12/24
02	لبنان	ديسمبر 1957	07	السودان	1958/01/11
03	العراق	1957/12/03	08	إندونيسيا	1958/03/22
04	السعودية	1957/12/11	09	ماليزيا	مارس 1958
05	الكويت	1957/12/06			

الملاحظ والملفت للانتباه أن المدني لم يقدم كشفا تفصيليا لزياراته تلك خاصة ما تعلق منها بالجانب المالي، باستثناء ما ذكره بشأن زيارته لسوريا التي اتفق مع مسؤوليها على تخليص نصف ½ مليار فرنك لحساب مكتب الجزائر بدمشق، أما باقي الزيارات فلم يحدثنا عن ثمرتها بهذا الخصوص.

ومع ذلك فإن المدني يبقى رجلا رحالة لا يكل ولا يمل من التنقل والاتصال من أجل قضية الثورة والوطن...وصورا كثيرة أوردها في كتابه "حياة كفاح" ج3 ما قاله بشأن تلك الزيارات واللقاءات التي جمعته بالعشرات من الرؤساء والملوك الساسة في البلدان العربية وغيرها.

أ- المدني وزيرا للثقافة في الحكومة المؤقتة:

استمر المدني في نشاطه الإعلامي والسياسي لصالح الثورة، كعضو في المجلس الوطني للثورة وعضوا في وفد القاهرة الممثل للجبهة والثورة معا، إلى أن أعلن عن تأسيس أول حكومة

[1]– احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 353.

جزائرية مؤقتة للثورة بتاريخ: **19** سبتمبر **1958**م، وقد أوكلت حقيبة وزارة الثقافة إلى الشيخ أحمد توفيق المدني، وهذا الاختيار يعكس في حقيقته بعدين[1]:

الأول: المؤهلات العلمية والثقافية للمدني كمثقف معرب وكذا علاقاته بقياداتها جعلت قيادة الثورة تختاره على رأس وزارة تستلزم تكوينا ثقافيا راقيا ومتفتحا، ومعرفة باللغات خاصة الفرنسية لغة المستعمر ومهارة في إدارة الوجه الثقافي للثورة.

الثاني: اهتمام بهذا البعد الثقفي وأهميته ضمن المسار الثوري وضرورة ضبط سياسة ثقافية تمكن من الاضطلاع بمهام التعليم، والتراث والقيم، وتشرف على تخريج النخب الجزائرية المثقفة من المعاهد والجامعات وحشدها في معركة التحرير وإعدادها لخوض معركة البناء، لجزائر ما بعد الثورة حفاظا على الخط الثوري.

ويذكر المدني أنه ومنذ تقلده المسؤولية الجديدة، شرع في تنظيم وهيكلة القطاع وكانت أولى أولوياته في ذلك: الواقع التعليمي للطلبة الجزائريين خاصة المغتربين في البلاد العربية وفي أوروبا وتهيئة وتوفير الظروف الملائمة لدراستهم فيما يتعلق خاصة بالإيواء والمنح المالية والدراسية، وبعثات إكمال الدراسة بالخارج ثم تجنيدهم فكريا وثقافيا وتقنيا لخدمة الثورة ومشروعها التحرري...الخ. [2]

وفي هذا الإطار فقد قام بجولات وزيارات عديدة خاصة إلى تونس لتسوية مشاكل الطلبة الاجتماعية والتنظيمية هناك.

والاولوية الأخرى هي ضبط سياسية ثقافية للثورة، تمكن من تنظيم التظاهرات الثقافية والإعلامية للتعريف بمشروعها الوطني الثقافي، وإبراز الوجه الحضاري للشعب الجزائري بإحياء المناسبات التاريخية الوطنية كذكرى اندلاع الثورة كل سنة وإدارة الأيام الإعلامية للتعريف بنضال وكفاح الشعب الجزائري في سبيل قضيته الوطنية العادلة، وعقد اللقاءات والندوات الإعلامية لشرح

---

[1] جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850– 1950 م)، تر: عمر المعراجي ، وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرة الـ 45 لعيد الإستقلال و الشباب، الجزائر، 2007، ص 288.

[2]– جيلالي صاري،المرجع نفسه، ص 288.

مواقف الثورة، والرد على مشاريع المستعمر الهادفة إلى إجهاض الثورة وسرقة ثمرة كفاح الشعب الجزائري. [1]

وهكذا بدأ المدني المثقف السياسي واحدا من رجالات الثورة وقادتها البارزين خادما للثورة مضحيا لأجلها مخلصا لقضية شعبه ووطنه، كما ولم يكن من قبل، إلى أن أبلغته الحكومة المؤقتة أمر انتدابه لتمثيل الجزائر بجامعة الدول العربية كمندوب دائم لها، في يوم **03** فيفري **1960**م وتلاه قرار آخر عن الحكومة المؤقتة أيضا بتعيينه إلى جانب ما سبق سفيرا لدى حكومة الجمهورية العربية المتحدة.

وقد مكنته وظيفتاه الجديدتان من دخول معترك الديبلوماسية من بابها الواسع، وبرز اسمه كأحد أبرز الوجوه الدبلوماسية للثورة، خاصة في المنطقة العربية والإسلامية ويقول المدني أنه اضطلع خلال هذه الفترة بمهام أربع.

1- القضايا السياسية والدبلوماسية وسبل دعم الثورة لدى الحكومات والمنظمات الإقليمية.

2- قضية الميزانية واستخراج أموال الثورة من خزينة مصر لتوظفها في خدمتها.

3- قضية السلاح وكيفية الحصول عليه وإيصاله إلى المعنيين بتوزيعه.

4- قضية الطلبة وتوحيد شملهم وتوجيه جهودهم لخدمة الثورة وتأطيرها.

وقد أعفى المدني من المهمة الثانية(سفيرا لدى الجمهورية العربية المتحدة)، بعد انعقاد الدورة الثالثة للمجلس الوطني للثورة بطرابلس سنة **1961**م، حيث استبدل عباس فرحات بابن خدة على رأس الحكومة الجديدة التي عينت السيد علي كافي قائد الولاية الثانية للثورة(الشمال القسنطيني) بعد استشهاد زيغود يوسف سنة **1956**. سفيرا وبذلك استقل المدني بمهمة تمثيل الجزائر كمندوب عنها في الجامعة العربية، والأطماع المغربية في الجزء الجنوبي الغربي للجزائر، خاصة بعد التفجير النووي الفرنسي الثاني بالصحراء الجزائرية بتاريخ **1960/03/31**م، وادعاء المملكة المغربية أن التفجير وقع بأراضيها...وغيرها من القضايا الأخرى إلى أن توج كفاح الشعب

[1]- احمد توفيق المدني، المصدر السابق،ص 344.

الجزائري بنيل الاستقلال، وانضمامها رسميا إلى الجامعة العربية بتاريخ **08** أوت **1962** تحت قيادة مندوبها توفيق المدني. (انظر الملحق **09**)

وفي يوم **28** سبتمبر **1962** يعين المدني في أول حكومة جزائرية بعد الاستقلال في منصب وزير الأوقاف في حكومة الرئيس أحمد بن بلة ليبدأ مشوارا جديدا في كفاحه الوطني في جزائر الاستقلال، بعد أن أدى ما عليه كاملا في مرحلة جزائر ما قبل الثورة، وجزائر الثورة....

رابعا :احمد توفيق المدني في نظر رفقائه ومعاصريه:

لقد تباينت آراء ومواقف الكتاب والمؤرخين، ورفقاء النضال والسلاح الذين عاصروا المدني في تقييم شخصيته والحكم عليها، فمنهم الذاهب إلى الإشادة بدوره ونضاله وكفاحه الطويل ثقافيا وإعلاميا ودبلوماسيا واعتباره وجه من الوجوه الثقافية والسياسية التاريخية والوطنية وفضله لا ينكر في خدمة القضية الوطنية وكفاح الشعب الجزائري في سبيل التحرر والتطور والتقدم وفريق آخر رأي في المدني شخصا متطفلا متملقا ومتلونا بل أكثر من ذلك إذ اعتبره بعضهم عميلا خائنا، وهذا يعكس حقيقة الأمر حالة طبيعية لأن كل شخص، خصوصا إذا كان متميزا وذائع الصيت كالمدني مثلا نجد له أنصارا معترفين بجهده وعمله وبلائه، كما نجد له خصوما مناقضين ومعارضين وربما معادين له ولأعماله ومواقفه[1].

1- الأمير شكيب أرسلان: أحمد توفيق المدني أديب تونسي، نفاه الفرنسيون إلى الجزائر وكان في الماضي أنقريا صرفا(أي تركي التوجه)، وكنت أسمع عنه أنه يكره طريقتك وطريقتي وينتقدها(يخاطب الأستاذ محمد رشيد رضا المدني بالقاهرة في**1931/05/14**). [(2)]

2-الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:أحمد توفيق المدني صديق الجميع.

3-الشيخ عبد اللطيف سلطاني: توفيق المدني يقول الناس عنه كثيرا من الأقوال فمنهم من يقول بأن الجرائر في نظره ليست من عالمه، فهو في هذا متواطئ مع الاستعمار على إخفات

---

(1) احمد توفيق المدني ،المصدر نفسه، ص ص 286، 14.

(2)–احمد توفيق المدني ،المصدر السابق ،ص 14.

صوتها...ومنهم من يقول بأنه سكت عن الجزائر، حتى لا تغضب عليه الفئة الباغية...وغير هذا كثير، والمتأمل في كل هذه الأقوال يجدها معقولة ومحقة.

4- الشيخ محمد خير الدين: توفيق المدني متلون، كذاب صنيعة المكتب الثاني للمخابر وصيلاته المربية به معروفة.

5- الشيخ العربي التبسي: توفيق المدني شر لابد منه، وفاسد في دنيا الفساد...وعميل استعماري خائن.

6- الأستاذ مالك بن نبي: توفيق المدني جرثومة في صفوف العلماء.

7- الأستاذ عمر بن قينة: لقد جعلنا المدني نحس حرصه على تلميع شخصيته، كشخصية وطنية متميزة تعمل من أجل الوطن، فتحرص على النضال والجهاد والعمل والاستقلال. [1]

8-عبد المالك مرتاض:إن أحمد توفيق المدني يجب أن يعده التاريخ، أحد المؤرخين الجزائريين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة...، ففضل المدني على التاريخ الجزائري عظيم في الماضي والحاضر تلك جملة من الآراء والمواقف والانطباعات التي رصدت شخصية المدني في كلمات وجمل قد تعبر وقد لا تعبر عن الحقيقة، لكنها تبقى رؤى شخصية لها ما يبررها عند أصحابها.

لقد تمتع توفيق المدني بكثير من التقدير والإشادة والاحترام والاعتراف له بالفضل، من قبل شعراء لا يشك في نزاهتهم، كما في وطنيتهم وهذه نماذج لأشعار قيلت في المدني في حفل نظم بمناسبة مرور **30** سنة عن إبعاد المدني من تونس إلى الجزائر أي في **20** جويلية **1955** بالعاصمة الجزائرية.

1- مقاطع من قصيدة المرحوم عبد الكريم العقون:

كفاحك أحمد يطوي السنين فسل عنه يا ليث هذا العرين

لقد زددت عنه العدى ثابتا أمام الأعاصير والظالمين

وكافحت يا بطلا خالدا عن العرب تحمي حماهم أمين

ثلاثون عاما مضت في النضال أبيت بما حملت أن تلين

وقضيتها في جهاد طويل مع الجهل والظلم والغاصبين

---

[1]- بن قينة محمد، المرجع السابق، ص 107.

توفيق سر في طرق العلا فحولك أسد الحمى الطامحون
وعش للعروبة رائدها ودم "الجزائر" حصنا حصينا[1]

2- أما شاعر الثورة مفدي زكرياء فيقول فيه:

شاكر الفضل ليس يعدم شكرا خلودهـــا إذا لأحمد ذكرى
واكتبوهـا وليقرأ الجيل منـها في كتـاب الجزائر اليوم سـطرا
وإذا أخطأ القيـــادة توفيق وعقل كـاتب علـى الشعب وقرا
إيه توفيق فيك أخلصت شـعرا أسيا كالوحي ظنـــــوه سحرا
كرموا اليوم أحمد تكرموا فيه الحجى والنهى وعلمـــا وفكرا[2]

أما الدكتور سعد الله فقال فيه في قصيدته "قصة عملاق":

ثمل الشعر فغني وهدى الشعب الضليل من صدى وهران حتى
للندامى وارتضى الإبعاد عن بيع الضمير هذه قصة عملاق خطير
أنشدات ليضيء الحالكات إنها قصة (توفيق) الكبير
نابضات بالحياة في المصير المغربي
والحزامى إنها قصة مجد
إنها صفحة خلد
إنها قصة حر كتبتها يد عملاق خطير
كافح الظلم فأبلى يد توفيق الكبير
كافح الجور الخطيب
واقتدى الحق السليب

تلك أقوال بعض الشعراء الجزائريين ممن عاصروا المدني وعايشوا نضاله وكفاحه الوطني قبل الثورة، وأثناءها فماذا يقول المدني عن نفسه.

---

[1]– احمد توفيق المدني ،المصدر السابق، ص ص 93-94.

[2]–احمد توفيق المدني،المصدر السابق، ص ص 95-97.

يقول المدني:"...إنني وإن كنت قد هيأت للثورة منذ أمد بعيد، لم أكن قائدا من قادتها، ولا بطلا من أبطالها بل كنت خادما لها، مطيعا لأوامرها منذ يومها الأول منفذا لإرادتها بكل ما أوتيت من قوة ومن إيمان، سواء كان ذلك في أرض الوطن أو في مختلف السفارات إلى يومنا هذا وإلى أن ألقى الله...". [1]

إن للمدني روائع عن نضاله وكفاحه الوطني، وفيه كثير من الحقيقة التي لا ينكرها إلا جاحد أو مغرض، كما فيه من التواضع والإصرار على إثباته إخلاصه وطنيته التي لا نشك فيا لحظة رغم ما ظهر عليه في أكثر من حدث ومحطة من بعض التجني على أحداث التاريخ وصانعيها.

[1]– احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 13.

الفصل الثاني: مواقف احمد توفيق المدني من خلال كتابته التاريخية

أولا: مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني**.**

ثانيا : الكتابة من وجهة نظر أحمد توفيق المدني .

ثالثا: الموروث الثقافي و التاريخي لأحمد توفيق المدني.

رابعا : موقف أحمد توفيق المدني من قضايا عصره من خلال كتاباته.

أولا: مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني :

عرف أحمد توفيق المدني التاريخ قائلا: (التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل وحكم فالمؤرخ الحق، إنما هو حاكم نزيه، حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات، ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ويستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينضر الملابسات ويدرس المحيط فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا، أصدر حكمه عادلا، لا عاطفة، ولا رياء، ولا محاباة) [1].

كان أحمد توفيق المدني يدعو إلى الالتزام بالموضوعية في المعالجة، وكانت كتاباته تعبيرا صادقا عن أحاسيسه المبنية على الإيمان، والاقتناع بسير الأحداث،[2] ولقد أخرج الرجل مؤلفاته القيمة،التي فتحت آفاقا عريضة و واسعة ، شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر [3].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492–1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، [د،ت]، ص08 .

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7،دار البصائر،الجزائر،2007،ص ص 308– 309.

[3] – محفوظ قداش، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900–1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص244.

وبرز اهتمامه وانفتاحه على تاريخ المنطقة المغربية، وتاريخ العالم العربي الإسلامي ككل، فلم يكن متمسكا بالتاريخ للقطرية، حيث نجده في كتابه المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا ، الذي صدر عام 1946م، يدعوا إلى تنشيط حركة الكتابة حول المدينة الإسلامية بهذه الجزيرة لإبراز الحضارة الإسلامية، وإعطاء وجه مشرق للتواجد العربي بالمنطقة، معتبرا ما أنجزه مقدمة لهذا العمل، ودفعا للباحثين إلى و لوج هذا العالم وفي ذلك يقول [1]: (أقول بكل صراحة، أن كتابي هذا لا يجب أن يعتبر إلا تمهيدا لدراسة تاريخ المسلمين في صقلية.... وإن كنت أدليت خلال هذه الدراسة التاريخية ببعض الآراء و الأفكار، فما بمقدمتها إلا تعرض على مجال البحث و المناظرة... و إنني ما أقدمت على وضع كتابي هذا وعرضه على الناقدين، إلا لكي أستفز منهم الشاعر... فيتداركون النقص، و يأتون بفضل الخطاب)

ونوهنا في هذه الالتفاتة العلمية،إلى إلقاء الأضواء على بعض من أسفاره، التي كان لها الصدى الطيب، وهذا التقدير والتنويه من مدن كثيرا من المفكرين و المصلحين المعاصرين لصدورها، و أيضا من قبل العديد من الباحثين الجزائريين المهتمين بهذا الحقل الاستراتيجي في عهد الدولة الوطنية المستقلة، و هي: كتاب الجزائر، و محمد عثمان باشا داي الجزائر، وجغرافية القطر الجزائري، و مسرحية حنبعل، وهذا حسب تسلسلها الزمني.

ثانيا: الكتابة التاريخية من وجهة نظر احمد توفيق المدني:

تطور مفهوم التاريخ مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ومع الوعي الوطني و السياسي والبحث عن ماضي الجزائر تعبيرا عن رفض الاندماج، وتغييب الذاكرة الجماعية، وهو التغييب

[1] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في الجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 ص07.

الذي فرضه الفرنسيون عن طريق تعليم تاريخهم فقط وقطع الصلة بين الجزائريين، وتاريخهم، وقد ظهر المفهوم السياسي للتاريخ ربما لأول مرة على يد حركة الأمير خالد، فقد استشهد في خطبه و عرائضه بتاريخ جده وبكفاح الجزائريين خلال القرن التاسع عشر، فانتشرت فكرة الربط بين التاريخ و الوطنية[1] .

ويجب على الجزائريين محو الجمود الثقافي، وتكسير الستار الحديدي الذي كبل بلادهم حسيا ومعنويا، وجعلها بمعزل عن امتداداتها الحضارية و العربية الإسلامية، وهو الرهان الاستعماري الذي لقي بعضا من النجاح، حينما ساد الاعتقاد في صحة دعايته المروجة لدى الرأي العام الأجنبي وعند عدد من الأشقاء[2] .

إن حدث المئوية (1930م) كان عاملا حاسما في بعث تاريخ وطني جزائري، غير أنه يجب الاعتداد أيضا بعامل أخر، ويتعلق الأمر بالأمثلة التي قدمتها في هذا المجال تونس و المغرب والتي حركت الجزائريين وحثتهم على أن يبلوروا هم أيضا دراسات تاريخية باللغة العربية وفق منظور وطني، وفي هذا الباب برزت في تونس أعمال حسن حسني عبد الوهاب (خلاصة تاريخ تونس، الذي أعيد طبعه سنة 1925م) وعثمان الكعاك (موجز التاريخ العام للجزائر، الذي طبع سنة 1925م)، أما في المغرب فلدينا العمل الهام الذي أنجزه عبد الرحمن بم زيدان (اتحاف أعلام الناس الذي صدر ي ثلاثة أجزاء سنوات 1929-1931م) [3] .

---

[1] – أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا، المصدر السابق، ص ص 302-304.

[2] – عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 55 .

[3] –فارس كعوان،المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1830-1962 م)، المساهمة في التاريخ الثقافي والفكري أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة ، قسم التاريخ و الآثار ، 2007 ، ص 07.

وفي هذا الحراك التاريخي المغاربي، صعد أحمد توفيق المدني والذي كان نتاج حركة التاريخ في تونس حيث انبرى متصديا للكتابة التاريخية في فترة حرجة جدا من تاريخنا الوطني فمنذ عام 1925م نشط الرجل في إخراج كثير من البواكير التاريخية المختلفة.

برز المدني في كتاباته مؤلفا طويل النفس، فقد سعى للبحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة، لكنه أولى عناية خاصة للدراسات التي تتصل بالجزائر، وهو أمر منطقي، إذ أنه كان من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يركزوا اهتمامهم على التاريخ الإنساني العام، في وقت كان فيه تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث و الإحياء لا سيما وأن تاريخ الجزائر كتب في أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة وهي استعمارية بحتة بلا ريب، حين كلف المستشرقون وغير المستشرقين، من الفرنسيين وغيرهم، بكتابة هذا التاريخ، لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها للقيام بهذا الدور الحيوي[1].

ويقول الباحث عبد الكريم بوصفصاف المؤرخ المدني بالقول[2]: (لعل المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية، والإقليمية المغاربية هو أحمد توفيق المدني، كاتب القطرين، وهو من طلائع المؤرخين، الذين بدءوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ومعاصرا في العشرينيات من القرن الماضي)، كتب أحد الدارسين منوها يقول: [3](يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصبية، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية، التي تتصل بالشعب الجزائري منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925م... إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم).

---

[1] – عبد المالك مرتاض،المرجع السابق، ص ص 207،208.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف، "المؤرخون الجزائريون و منهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الاحتلال و الاستقلال"، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر 1998، ص 46.

[3] – عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 219.

ويرى من رصد أعماله الفكرية، أنه كان متنوع النشاط بين كثير من الأعمال الأدبية، ولو تخصص للتاريخ وحده، لكان أبرز المؤرخين الجزائريين، لإمامه باللغة الفرنسية إلماما حسنا، ولنشاطه وحيويته و حماسه، وهذا الانشغال المتعدد الوجوه، لم يكن حسب العديد من الدارسين، صفة لازمت المدني وحده، بل كانت سمة عامة طبعت النهضة الثقافية في تلك المرحلة ، فالرجل إذن كان انعاكسا لتيار هذه الظاهرة[1] .

ويعتقد الباحثان عبد الكريم بوصفصاف، وعبد المالك مرتاض إلى أن الكتابة التاريخية للمدني، قد كانت تلقى نجاحا ملحوظا، غير أن أعماله لم تخل من بعض الهنات كسائر الأعمال الكبرى وكانت هذه المآخذ خاصة في تعليل الأحداث وتحليلها، رغم أنها مسألة نسبية، حيث يتفق رأي الرجلين في أن المدني كان ذا نزعة دينية في معالجة الوقائع التاريخية، شأنه شأن جميع رفقائه في النهضة[2].

ثالثا: الموروث الثقافي والتاريخي لأحمد توفيق المدني :

لقد كانت الكتابة التاريخية لأحمد توفيق المدني تلقى نجاحا ملحوظا، غير أن أعماله لم تخل من بعض الهفوات كسائر الأعمال الكبرى، وكانت هذه المآخذ خاصة في تعليل الأحداث وتحليلها، رغم أنها مسألة نسبية، حيث يتفق رأي الرجلين في أن المدني كان ذا ترعة دينية في معالجة الوقائع التاريخية، شأنه شأن جميع رفقائه،[3] فلقد حرر "المدني" مؤلفات قيمة، فتحت آفاق عريضة وواسعة وهي كالأتي :

1- تقويم المنصور:

يشمل الكتاب من خمسة أجزاء الجزء الأول سنة 1922 في تونس، وهو في ثلاثة مئة صفحة يشمل على مختلف العلوم، الفنون، الآداب، السياسية، التاريخ و الجغرافيا، و

---

[1] – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة ، المصدر السابق، ص 08.

[2] – عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 47.

[3]– فارس كعوان، المرجع السابق، ص 357.

لمساعدته في الطبع طلب من الجمهور الاشتراك و هذا بسد قيمة الطبع لإرسال لكل مشترك نسخة من الكتاب، و قام بتقسيمه إلى ثلاثة عشر باب حسب المواضيع وهي الفلك، المباحث العلمية، ثمرات من بساتين العلوم، مرآة العالم، باقة من رياض الأدب، العالم الإسلامي، أشهر الحوادث و أعظم الرجال، العالم الاقتصادي، القسم السياسي، عرائس الأفكار، مطبوعات السنة، في عالمي المشرق و المغرب، و كان الجزء مزين بأربع و ثلاثين صورة[1].

إن التقويم عبارة عن موسوعة تشمل مختلف المعارف الإنسانية، أستمر المدني في التقاويم اللاحقة على نفس الطريقة و بإضافة بعض الأبواب مثل التقويم الثاني فقد أضاف أبواب حول ربة البيت، طبيب الدار، حياتنا الإجتماعية، قطرنا المغربي، بين المزارع و الحقول، عظماؤنا، وتم نشر الأجزاء الثلاثة الأولى في تونس، وقد أنجز الجزء الرابع سنة 1926" فكانت مادته العلمية غزيرة و مادته الأدبية وافرة"[2] حسب قوله، قررت السلطات الفرنسية حجز الكتاب عن التداول في الجزائر ونفس المصدر لقيه في المغرب، بين المدني في ذلك الجزء لأول مرة تاريخ جزيرة صقيلة باللغة العربية.

حقق الجزء الخامس من الكتاب نجاحا باهرا، فقد تم بيعه بالإشتراك قبل أن يطيع، ذكر فيه سيرة كل من محمد بن تومرت، وعبد المؤمن ابن علي و تاريخ دولة الموحدين، أزمة اللغة العربية، وبحث عن الخط العربي، بحث عن إكتشاف القرطاجيين لأمريكا حوالي خمسة وعشرين قرن قبل الميلاد، اللغة العربية في المغرب منذ الثلاثين قرن و غيرها من الأبواب الجديدة، وقام بإنشاء جائزة سنوية " جائزة تقويم المنصور" لمكافأة أحسن كاتب عربي صدر في المغرب العربي، وهذا سعيا منه لتنشيط الحركة الفكرية و بعث التأليف بمساعدة المؤلفين، ونشر بيانا عن الجائزة في كل الصحف الصادرة في الدول العربية، ولم تتوج بالنجاح لعدم فهم البيان، فقد أرسلت له خمسة سنوات لكي ينشرها وقد أرجعها إلى صاحبها ولم ينشر أي كتاب.

---

[1] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج2 ، الشركة الوطنية للتوزيع ، الجزائر، 1983 ،ص 323.

[2] – أحمد توفيق المدني،المصدر نفسه، ص81.

2- تاريخ الشمال الإفريقي أو قرطاجة في أربعة عصور

طبع الكتب سنة 1932 و يحتوي على أبدع الصور الأثرية التي قام لم يسبق نشرها إطلاقا في اللغة العربية، وقام بتزويده بصور جغرافية توضحية وقد نشره في تونس عرض في كتاب " حياة كفاح ج2" مقتطفات من مقدمة الكتاب يرى فيها أن مرحلة ما قبل الفتح العربي مليئة بالعظمة و الجلال، وبين كيف كان سكان يجاهدون من أجل الحرية، فل يقم بذكر الأحداث التاريخية بل عمل تجسيم الماضي لكي يصيح خاصرا و تصوير الحياة القديمة وذكر عوامل نهضتها و أسباب إنحطاطها، وعمل على إصدار أحكام عادلة حول كل عصر كما يقول[1] .

كانت الزراعة أثناء الاستعمار الروماني للبلاد متطورة وتحت سيطرتهم، أما البربر فكانوا لا يملكون من الأرض و لو شبرا، و كانوا يتعرضون للإستغلال و الظلم مثل " السيرف" في نظام الإقطاع الفرنسي، وبين النهاية أن الإحتلال الروماني لم يكن مقبولا لدى البربر فقد إمتازوا "منذ أقدم العصور بإستماتتهم في سبيل الحرية، تعشقهم للإستقلال، فكانوا لا يرضخون أبدا لغالب، ولا يجنحون إلى الإستكانة... فلقد كانوا كلما بدت لهم فرصة سانحة ينقصون على أعدائهم"[2]، الهدف العام من الكتاب هو دحض المدرسة التاريخية الغربية التي تركز على المرحلة الرومانية و نكرانها لما قدمته المرحلة ما بعد الفتح الإسلامي للسكان الأصليين، هدف تلك المدرسة الإصرارعلى التعلق الإيجابي للبربر بالرومان، وقد لقي الكتاب حسب المدني إستحسان كبير من قبل القراء.

1/ كتاب الجزائر: ظهر في ظرف متميز عام 1931م حيث قال ردا على الاحتفالات المئوية الفرنسية الجارحة، فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ، وقد ألفه صاحبه

---

[1]- أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح ،ج2، المصدر السابق، ص 107.

[2] - احمد توفيق المدني،حياة كفاح، ج2،المصدر السابق، ص 109.

بهدف سياسي وطني كما أشار إلى ذلك جوزيف ديبارمي[1] ، وقد احتفلت و أشادت به كثيرا صحيفة الشهاب[2] .

وتلقى مؤلفه عشرات رسائل التهنئة والتقدير، وقد أشاد بمحتواه مفكرون و مؤرخون كبار وتناولته بالكتابة والتفريط عدة مجلات كمجلة المجمع العلمي العربي و القبس، و الأهرام، ومجلة البحوث الإسبانية [3]، ومن الذين رجعوا إليه ونوهوا به الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الإسلامي[4].

والحق أن مؤلفه قد رفع شعار أن مؤلفه قد رفع شعارات الهوية خفاقة، بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا "، وعالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري، من المثقفين بالفرنسية، الذين انجذب بعضهم نحو التاريخ الدخيل، ونظرائهم من المثقفين بالعربية الذين وجدوا أنفسهم وسط حلقة مفقودة[5].

ويقول الباحث محمد قنانش[6] (كلما رجعت إلى مقدمته أجدها شعلة من الوطنية تتقد حماسة وتفيض إحساسا وشعورا، وأطوي الكتاب، فتطل علي من الغلاف تلك الجمل الثلاث، التي أصبحت شعارا للوطنية، فلا ألبث أرددها معه)، ويعتقد المؤرخ أبي القاسم سعد الله أن كتاب الجزائر يشبه إلى حد كتاب المراة لحمدان بن عثمان خوجة، وقد ظهر المؤلف في ما

---

(1) – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،1830 –1954، المصدر السابق، ص 422.

(2) – عبد الحميد بن باديس، كتاب الجزائر كذلك وبمثل ذلك يؤدى الواجب أيها الجزائري الناشئ، الشهاب، ج3، 1932، ص 160.

(3) – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج1،المصدر السابق ،ص207.

(4) – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي1830 –1954، المصدر السابق، ص 422.

(5) – صالح الخرفي، "الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث"، مجلة الثقافة، العدد 01، الجزائر، مارس 1971، ص 53.

(6) – محمد قنانش، المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ، ص ص 113–114.

قدمه، و أنه من دعاة التجديد حين تحدث عن قضايا المجتمع كالتعليم، والصحافة، و المرأة، و الشباب، و دعا إلى تكوين المدار، والتخرج في مختلف المهن، و انتقد المدارس الثلاث الرسمية لتقاعسها[1]، لقد وصف المدني فقد وصف عمله بالقول:(هذا كتاب الجزائر... و إنه لصورة حقيقية لقطر الجزائر السعيد، لم ترسمها ريشة مصور يتعمد التحسين أو التشويه، إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي).

ويستنتج أحد الباحثين في تقييمه، إلى التأكيد على أن الكتاب يشكل إحدى المساهمات الأساسية في المسعى الرامي إلى الإحياء الوطني، الذي شرعت فيه الحركة الإصلاحية إلى جانب انتاجات بعض الأقلام من ذوي النزعة العلمانية، وأنه أي كتاب قد كرس إذن و نهائيا شهرة المدني، وأظهره كأحسن وأفضل أمل للحركة الإصلاحية الجزائرية[4].

ولعل القيمة التاريخية و الحضارية والتجديدية للكتاب، هي التي جعلت الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم يقول [2]: (لو لم يكن للأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكفاه فخرا).

أما التاريخ فيضم الأقسام من الأول إلى السادس، وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م، ورافقها ذكر التاريخ العلمي والأدبي، وقدم خلاصة عن العناصر البربري من حيث أصوله، و عوائده، ونظمه، وقبائله، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية علاوة على التعرض للعناصر الأخرى المشكلة لسكان الجزائر.

وفيما يتعلق بأقسام الجغرافيا، فتضم السابع والثامن، بحيث قدم بطاقة تعريف للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع، والحدود،و المساحة، والمظاهر الطبيعة، و أعقبها بعرض للناحية الإدارية، و إحصاء السكان، مرفقة بترجمة لاثنتين وسبعين(72) مدينة من أمهات المدن بالقطر الجزائري .

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،1830 –1954، ج 7، المصدر السابق ، ص 422–423.

[2] – محمد الطاهر العدواني، " كلمة التأبين بمناسبة الأربعين،"، مجلة التاريخ، العدد 18، الجزائر، النصف الأول من سنة 1985، ص 169.

في حين خصص الأقسام المتبقية، وهي من التاسع إلى الرابع عشر، للوضعية السياسية والقضائية و التعليمية، والحالة الاقتصادية العامة.

جاء الكتاب يحمل توجيهات، ويتضمن رسائل في غاية الأهمية، عند وضعها في سياقها الزمني من حيث مدلولاتها الأيديولوجية، وما ترمي إليه من أغراض تشع بالوطنية فقد احتوت مقدمة الكتاب دعوة صريحة للشباب للاهتمام بتاريخ وطنهم، حين أوضح صاحبه، أن هذه الشريحة التي كانت تتجذبها التيارات يمينا وشمالا و قتئذ، حتى صارت تبدوا و كأنها تعيش في ديار غير ديارها، أو خلقت على أرض مبتورة الأصل، ليخلص إلى أن هذا العزوف الظاهري عن الانشغال بهموم البلاد، إنما مرده انعدام الوسيلة ألا وهي الكتاب باللسان العربي، لذلك ركز توجيهه نحو هذه الفئة، التي تمثل حسبه مركز الحركة و الشعور و الإحساس في جسد الأمة، فخاطبها قائلا: [1](أيها الشبان البررة، وعلى أعمالكم يعتمد هذا الوطن، ويبني صرح مجده عاليا، ويتبوأ مقعده بين الأمم العربية الناهضة)، ولهذه الطاقة الحيوية في المجتمع، ضرورة مطالعة الكتاب، والتي حتما ستزيدهم حبا لوطنهم، مذكرا الجميع في لفتة ذكية، سرب خلالها الأفكار التي يتوق إيصالها، حين ألح على أن الجزائر، لن تسعد إلا عملت في دائرة دينها ولغتها وقوميتها موجها نداء بغرض التصدي لسياسة التجنيس ونبذ تلك الفكرة الغربية، داعيا إلى المحافظة على الخصوصية الدينية واللغوية و ترقيتهما و إعمال العقل، و الابتعاد عن الجهل والشعوذة والبدع ، و الاتكال على الإمكانات المحلية، لتحقيق التطور المرغوب ضن الدائرة الحضارية الطبيعية، وبلغة الواثق من أمته، أكد أن الأمة الجزائرية سريعة الاهتداء، إذا وجدت من يهديها، وآنست فيه الإخلاص والثبات، وتكاد تكون فقرته الأخيرة من خاتمة كتابه صرخة مدوية لإعلان الجهاد، عندما خاطب الجزائري[2] (هذه الجزائر الإسلامية يبين يديك

[1] – احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص05.

[2] – احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص ص374-375.

وأنت سليل الأبطال وفي عروقك يجري دم عظماء، فارفع جزائرك... و إذا ما هتف الناس بحياة أوطانهم، فلترفع الرأس... ولتهتف لتحيا الجزائر الخالدة).

ادلى المؤلف بعرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر و واقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية العربية الإسلامية، مبديا بشجاعة موقفه من الأوضاع السائدة، ملتزما قدرا كبيرا من الموضوعية والدقة في تصوير الواقع، وقد استفاد من إتقانه للغة المحتل، ومن اطلاعه على القوانين الفرنسية المطبقة، و الإحصاءات المسجلة، فالكتاب مزج إذن وبطريقة رائعة بين التاريخ و الوطنية والحضارة، مما كان له علاقة بحياة الجزائريين و اهتماماتهم في تلك الفترة الحرجة. [1]

3- المسلمون بجزيرة صقلية و جنوب إيطاليا:

بداية الكتاب كانت مع " تقويم المنصور" إذ ذكر تاريخ جزيرة صقلية في بعض البحوث، وبعد مدة عكف في دراسة الموضوع بطريقة علمية واسعة حول جغرافيا صقلية و تاريخها القديم و كذلك الفتح الإسلامي و أسبابه و ظروفه و إندفاع المسلمين لتلك الجزيرة، وكيف تطورت بعد ذلك، عرض دولة "الكلبيين" و أحداث و وقائع إستيلاء " النرمان" عليها فيما بعد. ومختلف الدول التي مرت بها حتى إخراج المسلمين منها، وختم الكتاب لترجمة لحياة و أعمال ثلاثين عالم ، والسبب الذي دفعه لتناول الموضوع هو الرغبة من البعد عن السياسة في تلك السنة و هذا بعد تعرضه لإنذارات من السلطات الفرنسية[2].

4- حنبعل:

حسب رأي المدني أن الهدف من المسرحية هو أن تكون رواية "تمثيلية و طنية صلدقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس، وتلقى عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال

---

[1] - احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر نفسه، ص 376.

[2] - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق ، ص 342.

من أجل التغلب على الصعاب و الصبر و الثبات، و لإستفزاز روح المقاومة الأصلية فيه..."، وقال محي الدين باش تارزي بتمثيلها بمسرح الأوبيرا، وقد أثرت كثيرا المسرحية ليس في الجزائريين فقط بل كل أقطار المغرب العربي وتناولتها إذاعة لندن و ملتها أيضا.

في الحقيقة أن علاقة المدني بالمسرح ترجع إلى المرحلة التي عاشها بتونس، فقد كانت له تجربة مسرحية هامة، خاصة على رأس "فرقة السعادة"، و خلال استقراره بالجزائر عاين حالة الركود الثقافية، و خاصة ما تعلق منها بالفن الرابع، لذلك أراد أن يبعثه من جديد، ويتفق الأدباء و المؤرخون على أن السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، كانت حاسمة و مؤثرة في الإنتاج الأدبي الجزائري حيث عرفت انطلاقة كبيرة للحياة السياسية إلى جانب التزام أدبي واضح للعاملين في هذا الحقل، فالملاحظ أن المفكرين من رجال أدب وكتاب طرحوا مشكلة الشخصية الوطنية، وبذلك رفعوا الستار عن مأساة الشعب الجزائري و تناقضاتها [1] ، ومن هذه الإنتاجات مسرحية حنبعل التي صدرت سنة 1950م.

و عن ظروف تأليف هده المسرحية و أهدافها، ذكر توفيق المدني، أنها استفزاز للمشاعر الوطنية، ودفعا لروح المقاومة، بعد سلسلة الخيبات المتوالية، في ميدان السياسة بالشمال الإفريقي، ونكبة فلسطين، وفي الإطار أورد[2] (إن رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس، وتلقي علية أثناء حوارها، ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب، واستفزاز روح المقاومة الأصلية فيه).

فكانت مسرحية حنبعل، التي قام بتمثيلها رائد المسرح الجزائري محي الدين باشطرزي بمسرح الأوبرا بالجزائر العاصمة يوم 09 أفريل 1948م، حيث عرضت نهارا للنساء و ليلا

---

[1] – فاطمة حمدي، المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية 1950–1954م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية و الأدبية، دبلوم الدراسات المعمقة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1981، ص 108.

[2] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2،المصدر السابق ، ص 392.

للرجال، وتناولتها حسب المؤلف إذاعة لندن، ومثلت بالجزائر و تونس أكثر من مائتي مرة[1].

و المسرحية عبارة عن دراما سياسية، تتكون من أربعة فصول، تدور أحدثها حول شخصية حنبعل، وقدمت باللغة العربية الفصحى، بالرغم من أن التمثيل آنذاك كان بالدارجة في أغلب الأحيان، إلا أن التمثيل بالفصحى قد حظي بمنزله عالية ولذلك فقد أحرزت هذه المسرحية حسب المعاصرين نجاحا باهرا.

اختيار عنوان حنبعل عن قصد، فهذا البطل يرمز للوحدة و التضحية في سبيل الوطن، كما أن اختيار الظروف الزمانية و المكانية دليل على واقعية المؤلف حيث جاءت مسرحيته في وقت كانت الجزائر تعيش فترة هدوء ما قبل العاصفة[2].

وبتحليل فصول المسرحية، نجدها قد جاءت مملوءة بالوطنية، والنداء للمقاومة بمضمونها ولغتها الخطابية، وقوة أسلوبها، وإن الأفكار المعروضة تدعو إلى تحطيم قيود العبودية و الاستغلال، وهي أفكار ثورية، تؤثر على الجمهور، وتحرضه على الكفاح ضد المستعمر[3].

يحافظ على سير الأحداث التاريخية للمسرحية، فقد أعطى الأحداث بعدا وطنيا، ونزعة سياسية واضحة، على أن واقعيته ومنهجيته في إيصال الرسالة للجمهور خدم

---

[1] – احمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص 393.

[3] – أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د، ت)، ص 66.

[1] – أبو القاسم سعد الله ،دراسات في الأدب الجزائري الحديث،المصدر السابق، ص 66.

المسرحية، وجعلها ناجحة، إذ تمكن من تخليصها من الأبعاد الزمنية، وحورها لتصبح وكأنها تحدث في الحاضر[1]

استطاع أن يضمن المسرحية مقولات مؤثرة جدا، عقب كل فصل لإنزال الستار ومن ذلك قوله على لسان حنبعل[2] (نحن قوم نعيش أحرارا، أو نموت شرفاء، وإن طغيان روما سيمضي وسيمضي من بعده كل طغيان آخر، ولا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها، المجاهدة في سبيل حريتها المحافظة على كيانها ووحدتها).

ما نلخص إليه في هذه المساهمة المتواضعة التي رامت في الغوص في فكر المدني المشبع بقيم الانتماء الحضاري العربي الإسلامي، أن الرجل قد امتلك رؤية عميقة لأهمية التاريخ في وضع اللبنات الأولى التي قام عليها صرح الوطنية، و أدلى بمواقف و آراء تهدد وجود فرنسا بشجاعة، في وقت كانت الرقابة الفرنسية ولقفة بالمرصاد لكل جريء يخوض في قضيتي العدالة والحرية.

5- جغرافيا الجزائر:

ألف الكتاب سنةَ 1958 و يقول في هذا الصدد " قدمت للشعب الجزائري أول كتاب عربي عن الجغرافيا الشعب الجزائري، وكان مزينا بالصور و الروسوم الجغرافية وقد أعطى وصفا كاملا شاملا للبلاد الجزائرية طبيعيا و سياسيا و اقتصاديا" ، أعيد نشر الكتابات ثلاث مرات وقد أهداه أثناء الثورة التحريرية 1954 إلى عظمة جلال الشعب المكافح من أجل الإستقلال، وذكر التمهيد أهم الميزات التي تتمتع بها الأمة الجزائرية أما في المقدمة فقد نوه على الوحدة بين الدول العربية "أرجوا أن تكون وسيلة تزداد بها روابط الأخوة و التضامن و

---

[1] – عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931– 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ص 211.

[2] – ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة 1927–1957 من خلال مؤلفات مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني وعبد الرحمان الجيلالي دراسة تحليلية نقدية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2000، ص ص 143–144.

الكفاح، بين الشعب الجزائر المجاهد، رابطة عقد المغرب العربي الكريم حتى تشترك معا في تقريض آخر معاقل الإستعمار، وإقامة ، جدران المستقبل العربي الباهر، على أسس الأخوة الصادقة، و التضامن الفعال، تحت راية الحرية، وفي نعيم الإستقلال".

قسم الكتاب إلى أربعة أقسام، الأول " التعريف بالبلاد الجزائرية" و تناول فيه أصل تسمية السواحل البلاد و حدودها، مساحتها، طبيعة الأرض الجزائرية، وهذا مع عرض لصور لمختلف المناطق و الشخصيات، وبين كذلك الخصائص المناخية و الغابات القسم الثاني "سكان القطر الجزائري" عرض عدد السكان الذي كان في تلك المرحلة 10665000 التسع ملايين من هذا العدد هم من السكان الأصليون و الشرعيون للبلاد و نجد منهم العرب و الأمازيغ (البربر) و من ثم نجد الفرنسيون و عددهم حوالي ثمنية ألف وهم سبب مصيبة القطر الجزائري، و تجمعهم رابطة مقدسة إتجاه الشعب و هي الإستبداد، الإستحواذ، الإحتقار، التنكيل، و نجد كذلك اليهود و عددهم حوالي مئة ألف نسمة، كانو يعاملون بإحسان و إحترام قبل الإحتلال وقد عملوا إلى جانب الإستعمار.

القسم الثالث "ما يجب أن يعرف عن تاريخ الوطن الجزائري[1]، ذكر فيه أهم المراحل التاريخية التي مر بها القطر الجزائري من الفينقيون، قرطاجية و نفوذها، نوميديا و ملوكها، الإستعمار الروماني و مراحله، الوندال، الروم، الفتح العربي، الدولة الرستمية، التوحيد الفاطمي، دولة بني حماد العظمى، التوحيد، الموحدي، دولة بني زيان، الجمهورية الجزائرية العثمانية، الإحتلال الفرنسي ونكبته، و روح الأمة الجزائرية، مقاومة أحمد باشا في الشرق، مقاومة الأمير عبد القدر في الغرب، و أخيرا فظائع و أهوال و موبقات أي أهم المجازر في حق الشعب.

القسم الرابع "تحطيم أمة"، أولا: الحكومة و الإدارة و المجاس تناول فيه إستقرار الفرنسيين من خلال إقطاع الأرض وحكم البلاد بالجيش، ثم التقسيم الإداري، العمالات، البلاديات و أنواعها،

[1] – أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث،المصدر السابق، ص 95.

المجلس الجزائري، المجالس العمالية، المجالس البلدية، مجالس الجماعات، المجالس الفرنسية، ثانيا: الأرض و الإستعمار بين كيف تم سرقة الأرض، ثالثا الفلاحة تناول الأعناب، القمح، الشعير، الدخان أو الطباك، الحلفة، الزيتون، النخيل، التين، الماشية، رابعا: الثورة المعدنية وذكر أهم المعادن الموجود في الجزائر مثل الفوسفات، الحديد، الرصاص، الزنك، النحاس، الزنبق، الفحم الحجري، البترول، خامسا: الصناعة و التجارة، سادسا: نتائج المأساة الاقتصادية و يظهر ذلك في الأجور الضعيفة، البطالة، المرض، الهجرة و غيرها من النتائج الكارثية على المجتمع الجزائري.

سابعا: تناول القضاء، ثامنا: سياسة التجهيل وذكر دور أهمية التعليم الحر في المحافظة على الشخصية الوطنية، تاسعا: الدين الإسلامي[1].

تناول في قسم منفرد أول المقاومة الحربية في الجزائر أثناء الاحتلال منها مقاومة الزعاطشة ، أولاد سيدي االشيخ، ثورة الجرجرة 1871، الأوراس، ثم تناول المقاومة السياسية في طورها الأول، ذكر مقاومة الأستاذ حمدان خوجة، الصحف الأولى التي أسسها جزائريون ممثل الهلال والرشيدي، الحرب العالمية الأولى، المقاومة الإستعمارية في طورها الثاني من الأمير خالد، نجم الشمال الإفريقي، نادي الترقي، جمعية العلماء، وحد النواب.

تناول كذلك حزب الشعب الجزائري، برنامج فيولت، المؤتمر الإسلامي، اضطهاد حزب الشعب، الحرب العالمية الثانية، جماعة أحباب البيان و الحرية، جواب و الحرية، جواب الحكومة في 8 ماي 1945، الدستور الجزائري، التدليس و التزوير، فظاعة أهوال التنكيل بحزب انتصار الحريات الديمقراطية، جبهة الدفاع عن الحرية، مقاطعة الانتخابات، انقسام حزب انتصار الحريات الديمقراطية و تأسيس لجنة الثورة للعمل و الإتحاد.

[1] – أحمد توفيق المدني،حياة كفاح ،ج2،المصدر السابق، ص ص 96-150.

وفي الأخير تناول الثورة الكبرى، اعتبر ثورة نوفمبر 1954 نتيجة معقولة ومنتظرة لواقع معاناة و مأساة الشعب الجزائري و نضاله السياسي، والبعد القومي المتمثل في تأيد الشعب لجبهة التحرير الوطني الجزائري، وعرض المنشور الأول للجبهة وهدفها الأساسي المتمثل في الإستقلال وتأسيس دولة جزائرية ذات سيادة ونظام ديمقراطي اشتراكي في دائرة المبادئ الإسلامية، وتحيد مهامها في الداخل والخارج على أسس المفاوضات.

ذكر أهم الأعمال الثورية التي تم تنفيذها في كل من جبال النمامشة، بلاد القبائل الكبرى، الشمال الشرقي، وادي الساحل وغيرها، بين تنظيم المجاهدين وأهم الأسلحة المستعملة و الدور البطولي للشعب (التموين، التمريض، الألبسة) وكيف كان رد الاحتلال، وفي أخر الصفحات بين تأييد القضية الجزائرية من قبل كل من الدول العربية، مؤتمر باندونغ، و إعتبار القضية في هيئة الأمم المتحدة في أكتوبر 1955 أنها ليس قضية فرنسية بل هي قضية أممية وحق هذه الهيئة في دراستها، وفحصها و إصدار التوصيات بشأنها[1].

6- محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده).

قام باهتداء الكتاب إلى روح الشيخ عبد الحميد بن باديس عرفانا لعمله في سبيل العلم والمعرفة و الوطن، وقدم تمهيد لدراسة تاريخ العصر التركي بالجزائر، نوه فيه عن التشويه الذي تعرض له تاريخ عصر الحكم في العثماني بالجزائر، و اعتمد في ذلك على قسم من مذكرات نقيب أشرف الجزائر وهذا بنقل ما يتعلق بعصر "محمد عثمان باشا" و على كتاب " التحفة المرضية في الدولة البكداشية".

[1] أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ص51

عندما أراد المحاربون الإسبانيين المسيحيون احتلال الجزائر، كانت علاقة الجزائر اسمية بالباب العالي فقد كانت لها وحدة و استقلال، و أخيرا شهرة القطر الجزائري بعد ذلك، لم يكن المؤرخون الأوروبيين موضوعين اتجاه ما حدث في العصر التركي، فهم ركزوا على الجانب السلبي (الظلم، الجور، التخلف) دون الإيجابي، عكس ما يحدث عندما يتناولون أوروبا.

ركز على أن الأمية في الجزائر كانت قليلة مقارنة بعد الاحتلال، أما الأعمال الوحشية من إعدام و تقتيل فيلاحظ أن أعمال فرنسا تفوق بكثير ما حدث في القطر الجزائري من أعمال هتلر و ستالين، فالطغيان الحكومي الوحشي و النظم القاسية سادت في أوروبا خاصة أثناء الإقطاعية، أما الشعب الجزائري "كان سيد أرضه و سيد نفسه و سيد محصوله"، ليس لديه علاقة بالحكومة إلا أثناء دفع الضرائب، وكانت قليلة جدا مقارنة بضرائب الفلاحين في أوربا في ذلك العصر[1].

إن أعمال القمع التركية لا يمكن مقارنتها بأعمال فرنسا أثناء الاحتلال، فقد أرسل مللك فرنسا يوم 7 جويلة 1833 لجنة بحث للإطلاع على حالة الجزائر المحتلة حديثا جاء التقرير "... و الخلاصة أن و حشيتنا كانت تفوق كثيرا وحشية الذين نحمل إليهم المدينة..."، و استشهد أيضا بعدة خطابات أهمها خطاب النائب دوسان بمجلس الأمة بتاريخ 28 أفريل 1834، كذلك بشهادات الضباط مثل رسائل الجنرال سانت أرنو و كتاب كريستيان [2].

ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، الأول بعنوان " خلاصة عن الولاة و العصر التركي من عام 1515 إلى عام 1830"، يتميز القرن الخامس عشر بانتشار الفتن في الشمالالإفريقي، و بدأت الدول الإسلامية بالإنحطاط و الزوال (الدولة الحفصية، دولة بني عبد الواد، دولة بني مرين...)، في هذا ما أدى إلى تدخل الأتراك لرد حكم الرهبان و طغيان محاكم التفتيش

(1) –أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، المصدر السابق، ص102.

(2)–أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791)، المصدر السابق، ص 54.

الإسباني، وقد حكم الأتراك حوالي ثلاثة قرون، وينقسم هذا الحكم إلى خمسة أدوار، عصر الفتح بابا عروج وخير الدين، وحكم البايلارباياات، الباشاوات، و حكم الأغوات، سرد ووصف الأحداث التاريخية ، وهذا بذكر الحكومات المتوالية مع مدة ولاية كل حاكم، و ذكر أهم الأعمال التي قام بها من حسن باشا بن خير الدين إلى حسين باشا وهو أخر حكام الأتراك غداة الإحتلال، و تعتبر تلك المرحلة رغم الثورات المحلية التي تقوم بها بعض القبائل ضد الضرائب، فإن الحالة تتميز بالاستقرار، و كانت الحركة العلمية نشيط أبو العباس حميد بن باديس وهو قضي من قسنطينة، عبد اللطيف المسبح القسنطيني قد عد 46 عالم في مختلف المجالات التدريس، القضاء، الشعر...، و ذكر رجال الإفتاء في العاصمة الجزائرية (من الحنفية و المالكية)، ثم ذكر مصادر(بالعربية والفرنسية) المستعملة في ذلك القسم. [1]

القسم الثاني بعنوان "سيرة الداي محمد عثمان باشا، عن مذكرات نقيب السادة الأشراف بالجزائر"، ذكر حياة و أعمال محمد باشا كما كانت مذكورة في مذكرات نقيب السادة الأشراف، ولد الداي باشا في 8 أفريل 1766، وقد وصفه نقيب الأشراف بالعادل والمنصف و عارف بقوانين الملك و ملتزم لأحكام الشريعة، وقام بعدة أعمال عمرانية وحربية، وبين النقيب الأشراف كيف كان يتم جمع الضرائب، وكيف كان يسير البلاد، وبعد وفاته خلفه صالح باي الذي قتل بعد عامين.

ان صورة خير الدين باشا بربروس و بعض الجند والمدنيين، وأحياء العاصمة وبعض القصور، وأضاق لتلك المذكرات سيرة صالح باي (قسنطينة)، و محمد باي الكبير (وهران) فذكر أعمالهم وبطولاتهم، وختم القسم بأنشودة جزائرية شعبية في حرب الدانمارك، التي وجدت محفوظة في أوراق المستشرق فونتيردي بارادي بالمكتبة العامة بباريس.

[1]– احمد توفيق المدني،حياة كفاح ،ج2،المصدر السابق، 358.

القسم الثاني بعنوان "مقتطفات من دفتر التشريفات الرسمي"، ويعرف المدني دلك الدفتر على أنه " السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة التركية الجزائرية ترسم فيه أعمالها ومذكراتها وما تقرره من نظم و قوانيين"، وقد ترجمه إلى الفرنسية دو فولكس أثناء الاحتلال الفرنسي وقد طبع ف ب15 ديسمبر 1852، و قام بتبويبه حسب المواضيع، القسم الأول الخاص بالحوادث التاريخية وفيه ما وقع تسجيله من حوادث الحرب مع المغرب وتونس، القسم الثاني خاص بالجند و الإدارة والأسطول، وبين المدني كذلك أهم مراسم الدفتر وهذا بذكر الهدايا بين الباشا والسلطان ، والهدايا الإنجليزية، وتوزيع الغنائم قيمتها و غيرها من الأمور الخاصة بالإدارة والتنظيم.[1]

القسم الرابع "مقتطفات من مذكرات فونتير دي بارادي المتعلقة بهذا العصر"، كان صاحب المذكرات مستشرق فرنسي ولد في 1789، عين مساعدا لرئيس الترجمة بتونس ثم مترجم اللغات الشرقية في وزارة الخارجية، دخل الجزائر سنة 1778 وقام فيها سنتين لتسوية الخلافات بين الجزائر و فرنسا، وقام بدراسة نظم البلاد و ألف قاموس يترجم الفرنسية للعرب.

رابعا : موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته :

1- احتفال فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر

لم تكتف سلطت الاستعمار الفرنسي بعمليات القتل والتنكيل وانتهاك الحرمات طيلة قرن من الزمن بل تعداها ذلك إلى تتويج هذه المآسي بإقامة حفل عظيم منبره رقص وغناء على أشلاء شعب أعزل لم يؤمن برسالتهم ولم يرضخ لقوتهم الحديدية[1]، حيث تم اختيار عام 1930م للاحتفال بمرور مائة سنة على التواجد الفرنسي بالجزائر، كما تم تشكيل اللجنة الوطنية لمئوية الجزائر، هذه الأخيرة قامت بإصدار اثني عشر كتيبا وتولت الإعداد لهذا الاحتفال الذي انطلق من 1930/05/04، أما عن أبرز الأحداث التي سبقت الاحتفالات فتمثلت في ضجة إعلامية في فرنسا وكذلك الجزائر، حيث لقي هذا الحدث تمجيدا عظيما حتى قبل انطلاقه ودليل ذلك مختلف التصريحات التي أدلى بها مختلف الشخصيات الفرنسية في العديد من وسائل الإعلام سواء في فرنسا أو الجزائر[2]، فالأجواء التي ميزت الاحتفالات كانت أجواء بهيجة وذلك بارتداء ملابس ذات ألوان زاهية وبراقة، طبعت وزينت كافة الساحات العمومية، كما تم ارتداء البرانس الحمراء الأرجوانية اللون من قبل الباشا والأغوات، أما عن القادة العسكريين والمعمرين فقد ارتدوا ملابس أنيقة، كما تم إعداد برانس بسيطة في هذه المناسبة حيث علقت على صدورها نيشان وأوسمة عديدة التي تم جنيها في ميادين القتال خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918.

كانت احتفالات فرنسا بذكراها المئوية في سنة 1930م دافعا قويا لقيام حراك قومي وطني في الجزائر، أدى إلى تطور عصري في تفكير الحركة الوطنية[3]، فرغم الظروف المؤلمة خاصة بعد حل حزب نجم شمال إفريقيا بقرار حكومي ورفض الشيوعيون فكرة استقلال الجزائر أبدت الحركة الوطنية صمودها بقوة إيمانها وعزمها الصادق، إذ أول ما قامت به هو إرسال مذكرة إلى عصبة الأمم التي كانت تجتمع في جنيف تحتج فيه على الحالة التعسفية التي يعيشها الشعب الجزائري وعلى سكوتها على عدم تطبيق القرار الأساسي التي قامت من أجله والمتمثل في حق الشعوب في تقرير المصير[4].

لقد شعر معظم الزعماء السياسيين الجزائريين وكذلك المثقفين والمفكرين باستفزاز السلطات الاستعمارية لهم، وعلى رأس هؤلاء أحمد توفيق المدني الذي أكد أن هذه الاحتفالات كانت حافزا قوا للجزائريين للقيام بردود أفعال جراء ما تعرضوا له من تصريحات مهينة تمس

---

[1]– محمد قنانش،الحركة الاستقلالية في الجزائر، بين الحربين 1919–1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 52.

[2]– عمار بن تومي، الجريمة والفظاعة 1923–1954م، (د ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013م، ص 123.

[3] –Robert et Maroinne cornevin ; histoire de l'Afrique des origines à la 2° guerre mondiale, petite bibliothèque poyot, Boulvard Saint Germain, Paris, p 339.

[4]– محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919–1939م، المرجع السابق، ص 52.

بعقيدتهم وانتمائهم القومي، حيث يقول في ذلك: "إن احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل".

يتضح من كتابة المدني لهذه السطور مدى تأثير هذه الاحتفالات في نفوس الشعب الجزائري عامة وليس الزعماء والمفكرين فقط، حيث أيقظت الأمة الجزائرية التي تمسكت بمطلب رئيسي وهو الاستقلال وحق الشعب في تقرير المصير.

كما كان المدني أبرز الشخصيات المتأثرة بهذه الاحتفالات المشينة ودليل ذلك إلقائه بمختلف الخطابات الحماسية تصريحاته لرفع معنويات الشعب الجزائري وحثه على ضرورة التمسك بالدفاع عن قضيته الوطنية ومقوماتها، بكل الوسائل المتاحة، إذ قال في ذلك: "كنت أضطرم نارا، كنت ألهب حماس القوم، الذين كانوا يكتفون بمقابلة ذلك بدموع سخية"[1]، حيث أكد على ضرورة تمسك الشعب الجزائري بدينه ولغته وتوليه مسؤولية المحافظة عليهما، لأن الحكومة الفرنسية لن تراعي أبدا مصالح الشعب الجزائري بل هي تعمل لصالحها فقط، ويبرر ذلك بتواجدها في الجزائر طيلة قرن من الزمن ولم تقدم لهم أي شيء، ولم تبذل أي جهد في سبيل تعليمهم الإسلام والعربية، فالإدارة الاستعمارية تسعى جاهدة بكل الطرق للقضاء على كل مقومات الشخصية الجزائرية.

2- التجنيس

كان أول مشروع لتحقيق تجنيس جماعي من طرف فرنسا في الجزائر عام 1843م، وهذا المشروع اقتصر على يهود الجزائر فقط، وذلك لأنهم كانوا مؤيدين ومرحبين بفكرة تواجد فرنسا في الجزائر، حيث لقي هذا المشروع إقبالا كبيرا وسريعا، حيث التفوا إلى جانب المحتلين الغرباء في البلاد وأهلها، لكن في تاريخ 14 جويلية 1865م تم إصدار قرار من المجلس نص على منح الجنسية الفرنسية لليهود والمسلمين معا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية[2]، وفي سنة 1930 سادت حالة بؤس ويأس كبيرين لدى عامة الشعب الجزائري من أقصى غربهم نتيجة استعدادات السلطات الاستعمارية للاحتفال بذكراها المئوية لاحتلال الجزائر، إضافة إلى اعتباره الشعب الجزائري شعب مغلوب على أمره، والمظلوم المحتقر، حيث قال المدني في خضم هذه الأوضاع والظروف العصيبة: "مما دفع بعض الصارخين الضعفاء يصرخ ويقول يا قوم لا خلاص لكم من هذه المحنة الرهيبة إلا التجنس"[3].

تم رفض مشروع التجنس من قبل كل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأسهم أحمد توفيق المدني، حيث بلغ رفض التجنس من قبل الأعضاء إلى اعتبار كل متجنس بالجنسية الفرنسية أنه خارج عن الدين الإسلامي، إذ أفتى الشيخ عبد الحميد ابن باديس في ذلك بالقول: "التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية، ومن رفض

---

[1]- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 171.

[2]- يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 203.

[3]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 236.

حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنيسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته..." [1].

يقول المدني حول قضية التجنيس: "أن زعيم المتجنسين وهو السيد سالمور ولد له طفل أطلق عليه اسم كريستيان أي المسيحي، وشاءت الأقدار أن يلد طفل لدى المدني أيضا في نفس الوقت وأطلق عليه اسم إسلام، وأخبر الجميع في نادي الترقي أن هذين الاسمين منهاج سياستين: سياسة التجنيس تجعل أولادكم كريستيان وسياسة العروبة والوطنية والإسلام تجعل أولادكم إسلام"[2]، وهذا دليل واضح على رفض توفيق المدني لسياسة التجنيس التي تعتمدها فرنسا في الجزائر، خاصة وأن الاستعمار يسعى بشتى الطرق لجعل الجزائر تابعة لفرنسا من خلال القضاء على مقوماتها الوطنية من بينها الجنسية الجزائرية وبالتالي يرفض الاعتراف بها وكذلك وصف الجزائريين بكلمات احتقارية[3].

كما يتضح موقف المدني الرافض للتجنيس من مختلف الخطابات والتصريحات وكذلك كتاباته، حيث كتب يقول: "ومما زاد الطين بلة، والجرح عمقا هو أن جريدة الإصلاح التي كان ينشرها السيد الطيب العقبى قد تحمست لتلك الفكرة وأخذت تروج، ويكتب فيها الأستاذ الأمين العمودي المقالات المطولة التي تحبذ ذلك الطريق المعوج"، وكان رد فعل المدني جراء هذا الأمر إرساله مقالا لجريدة الإصلاح بين من خلاله موقفه الرافض للتجنيس وما ينجر عنه من مشاكل وعقبات تزيد من معاناة الأمة الجزائرية، وتصعب الطريق نحو الهدف المنشود لتحقيق طموحهم في الاستقلال وكان هذا المقال تحت عنوان "بين الموت والحياة"، كما أرسل معه رسالة للشيخ الطيب العقبي[4]، وعليه فقد كان المدني من أبرز أعضاء جمعية العلماء التي تنادي بلا تجنيس، حيث حرر العديد من المقالات يشرح فيها موقفه وكذلك سلبيات هذا المشروع وأهداف فرنسا الخفية منه.

3- القضية البربرية

يرى محمد حربي أن من سلبيات بعض المفكرين والعلماء في مستواهم الثقافي والدراسي لتاريخ المغرب العربي إنكارهم لحقبة زمانية كاملة من تاريخ الجزائر، خاصة تلك السابقة للفتح الإسلامي، في القرن السابع، وكذلك الفترة الممتدة من بداية الاستعمار إلى نهايته أي 1830 إلى 1962م، وقد أدى موقف عدائهم للبربر إلى زيادة حدة وخطورة المشاكل المتعلقة بالوحدة

---

[1]– محمد الصالح رمضان، من فتاوى التجنيس والتفرنس والتزوج بالأجنبيات، مجلة الثقافة، العدد 1984،14م، ص 368.

[2]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 249.

[3]– عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، المصدر السابق، ص 234.

[4]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 237.

الوطنية، كما أشار إلى أن صفارات الإنذار التي أطلقا المدني خلال ثلاثينات القرن الماضي تبدو مبالغ فيها لأن كل مجهودات الاستعمار في تنصير المجتمع الجزائري باءت بالفشل[1].

لقد اعتبر المدني البربر بأنهم أول سكان بلاد المغرب العربي ويدعون أنفسهم الأمازيع، حيث قال: "البربر قوم أشراف، يدعون أنفسهم الأمازيع أي السادة الأحرار، لا يتحملون الخضوع لسلطان، ولا يرضخون للقوة، وأنهم أول سكان المغرب العربي أو بالأحرى أول سلالة بشرية سكنت هذه البلاد، جاؤوا من آسيا، وهو أبناء العرب والفينيقيين أي أنهما من سلالة واحدة"[2].

أما عن سلطات الاستعمار فقد عملت على إيجاد سياسة خاصة ببلاد البربر من أجل خلق العداوة ونشر الحقد والضغينة بين أهل البلاد وبين العرب تطبيقا لمبدأ فرق تسد، إذ أنه وبناءا على إحدى التقارير فإنه يوجد 29% من البربر في الجزائر، و60% في مراكش و21% في تونس.

حول هذا الموضوع يؤكد المدني أن الإدارة الفرنسية منذ نشأتها إلى زوالها تسعى دوما إلى التفرقة ونشر الخصومات بين مختلف عناصر السكان الجزائريين، فهي التي تكون دائما سببا في إثارة الفتنة والكراهية بين العنصر البربري والعربي[3]، لأن فرنسا منذ أول يوم تواجدها بالجزائر وهي تحارب الدين الإسلامي وكذلك اللغة العربية سعيا منها بشتى الطرق لإحلال محلها الديانة المسيحية واللغة الفرنسية على التوالي، وذلك من أجل فرنسة المجتمع الجزائري ودمجه في المجتمع الفرنسي المسيحي، وبالتالي اقتطاع الجزائر من امتدادها الجغرافي العربي والإسلامي وكذلك الحضاري الذي يربطها بالعالم العربي الإسلامي[4].

فالسياسة المتبعة من طرف الاستعمار الفرنسي تعد السبب الرئيسي لظهور الفكر البربري في الجزائر، فهذه الأخيرة معادية للعروبة والإسلام لأنها تهدف إلى خلق هوية جديدة داخل الإطار الفرنسي الأوروبي[5].

يؤكد أحمد توفيق المدني أن الإدارة الاستعمارية تعمل على إيقاد النار ولا تسعى إلى إخمادها وأن لها أعوان خفاء أو معروفين يخدمون مصالحها ويعملون على نشر أفكارها، ودليل

---

[1]– محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض ترجمة، نجيب عياد، صالح المثلولي، موفم للنشر، الجزائر، 1994م، ص،15

[2]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 65.

[3]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 310.

[4]– يوسف مناصرية، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 330.

[5]–يوسف مناصرية،المرجع نفسه، ص331.

ذلك ما قامت به في مدينة غرداية وما حدث فيها من صراعات بين المالكية والإباضية[1]، فالسياسة الفرنسية تسهر على تضييق الخناق على الإسلام واللغة العربية وكذلك التقاليد الإسلامية، وفي المقابل كان الشعب الجزائري يرتكز على الإسلام والبلدان العربية حيث يعتبر الإسلام المحرك الكبير للدفاع عن الشخصية والكرامة والارتباط التاريخي مع باقي الدول العربية، وذلك باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من العالم العربي والإسلامي[2].

كان جل العلماء والمفكرين الجزائريين على دراية تامة بالسياسة الفرنسية وأهدافها الخفية التي تسعى إلى تحقيقها في الجزائر، إذ عمل هؤلاء على نشر الوعي الديني والوطني، كما صرح الشيخ أحمد توفيق المدني عام 1939م أن اللغة العربية والإسلام في منطقة القبائل يحيط بهما خطر كبير، كما دعى إلى ضرورة إيجاد حل سريع من أجل إنقاذ الوضع قبل تفاقمه، كما أدان بشدة ما يقوم به الفرنسيون من أجل تنصير المسلمين الجزائريين وإخراجهم من الحضيرة العربية والدين الإسلامي[3].

كان للمدني مساعي كثيرة لإخماد نار الفتنة التي أحدثتها الإدارة الفرنسية سواء بين البربر والعربي أو بين المالكية والإباضية في مدينة غرداية، حيث عمل على إنهاء الصراعات من خلال استغلال بعض العقلاء بين الطرفين، كما حث الأمة على ضرورة اشتغالها بما هو أهم وأصلح، لكن قضية غرداية أخذت منعرجا آخر وتطورت تطورا كبيرا إلى أن توصل الأمر إلى انتشارها في كامل أرجاء الوطن وأصبحت هناك دعايات ضد الإخوان الإباضيين نشر أفكارا ضدهم، وكان وراء كل هذه الأحداث والنزاعات وتطورها الإدارة الفرنسية التي تسعى إلى تقسيم الوطن الجزائري وتثبيت أقدامها لجعل الجزائر مقاطعة فرنسية، ففرنسا كانت تدرك تمام الإدراك مدى خطورة السياسة البربرية على الوحدة الوطنية، فهي تلعب دورا كبيرا في تحقيق الشقاق والفرقة بين السكان وكانت فرنسا تقر بوجود ثلاث نقاط أساسية وهي: أن هناك تناقض بين العرب والبربر وأن هناك اختلاف بين العرقين كما أن فرنسا تفضل الجنس البربري على الجنس العربي، وذلك لأن الجنس البربري يبدي تأييدا وتقديرا للاستعمار، وأنه على درجة كبيرة ورفيعة من التطور والتحضر، وكذلك أن البربر يبدون استعدادهم لفكرة الاندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيا واجتماعيا وحتى ثقافيا، أي أنهم مرحبين بفكرة التواجد الفرنسي في الجزائر ودمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي المسيحي دون أي إشكال، حيث يقول المدني: "كنت أرى ذلك وأشاهده، وكنت أقاومه و أصدامه، وكنت أتوخى أحسن الطرق لكي

---

[1]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 311.

[2]–Mahfoud Kaddach ; le parti du peuple Algérien (P.P.A) 1937–1939 ; office des publication universitaires, Alger, 1983, p 69.

[3]– عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931–1945، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 132.

أدرأ على الشعب المسكين سوء العقبى التي يريدون أن يسوقوه إليها"[1]، إذ عملت فرنسا وسلطاتها على فصل المناطق التي يقطنها البربر الأمازيغ عن بقية المناطق الأخرى من الوطن، كما حاولت تلقين وتدريس الثقافة الفرنسية وفي المقابل منعت تدريس الثقافة العربية الإسلامية لأبناء هؤلاء القبائل، وذلك لتحقيق هدف واحد ألا وهو إحلال المسيحية والفرنسية، وكذلك اللغة الأمازيغية محل الإسلام واللغة العربية في منطقة القبائل خاصة ومن ثمة في الجزائر عامة، وهذا دليل قاطع على أن فرنسا تشن حربا على مقومات الشخصية الجزائرية من أجل محوها نهائيا[2]، وعليه فإن الاستعمار الفرنسي في الجزائر اتخذ من المسألة البربرية سلاحا فتاكا في يده، مستغلا تواجده في الجزائر لتحقيق جل أهدافه وأطماعه التوسعية بدعمه لطائفة تسعى إلى التخريب والتمرد[3].

تعتبر المسألة البربرية من أخطر القضايا التي أثرتها فرنسا لتفرقة الشعب الجزائري ونشر العداوة بين أبنائه، وساعدها هذا في تحقيق خطوة كبيرة نحو تثبيت أقدامها في الأراضي الجزائرية لكنها لم تنجح مختلف مشاريعها وذلك يعود لتماسك الشعب الجزائري فيما بينه واعتماده على مبدأ واحد وهو الدين الإسلامي والعروبة بالإضافة إلى مساعي جل العلماء والمفكرين في نشر الوعي القومي في أواسط الأمة الجزائرية على رأسهم أحمد توفيق المدني.

4- موقفه من الطرق الصوفية

يرى المدني أن الطرق الصوفية كانت تحظى بمكانة كبيرة في القطر الجزائري، وأن لها نفوذ عظيم كما هو الشأن في بلاد المشرق، ولبعض الطرق الصوفية مزية تاريخية لا يستطيع أحد إنكارها، وذلك لجهودها الجبارة في المحافظة على الدين الإسلامي في هذه البلاد في عصور الجاهلية وظلماتها، إذ قام رجالها الأولون بتأسيس الزوايا يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئين الدين الإسلامي وبث العلم في صدور الرجال[4]، كما كانت أغلب الطرق والزوايا مراكزا محركة ومشجعة للمقاومة الوطنية وللجهاد وكان ذلك خلال مرحلة المقاومة الشعبية[5].

---

[1]-أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص347.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص 129.

[3]- يحيى بوعزيز، الاتحاد اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948م)، (د ط)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 92.

[4]- أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 350.

[5]- بكار العايش، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937-1939م، دار شطايبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 67.

يؤكد توفيق المدني أنه لولا تلك الجهود العظيمة التي بذلها هؤلاء لما كنا نجد الآن في بلادنا أثر للعربية ولا لعلوم الدين كما أرجع الفضل في تكوين طبقة من العلماء والفقهاء إلى تلك الزوايا التي كانت بمثابة واسطة فعلية نقلت الإسلام إلى بلاد أقصى الجنوب والسودان وكانت فوق كل الاعتبارات ملجأ للعاجز وابن السبيل[1].

كان للطرق الصوفية حضورا في نادي الترقي خاصة عند تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 1931/05/05، كما أصبحوا أعضاء فيها ما بين سنتي 1931-1932، لكنهم حاولوا الاستيلاء عليها من خلال الانتخابات، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، مما دفعهم إلى الانسحاب وتأسيس جمعية السنة برئاسة المولود الحافظي، وعلى إثر ذلك ساءت العلاقة بين الطرق الصوفية ونادي الترقي إذ وصفوه بأنه نادي يجري فيه المنكر، كما قاموا بشن هجوما على دعاة الإصلاح، المعارضين لهم في الجزائر، كما حرروا مقالات في جرائدهم تسيء للنادي ونشاطاته، ومن أبرز هذه المقالات مقالا في جريدة البلاغ التي كان تحت عنوان "تأتون في ناديكم المنكر" وكذلك "لماذا تأسيس نادي الترقي بالجزائر"، وكان ذلك في عام 12 أكتوبر 1930م[2].

أشار المدني إلى أن كل الزوايا التابعة للطرق الصوفية تغيرت نشاطاتها وأهدافها التي كانت عليها خلال المراحل الأولى من تأسيسها، وذلك بعد موت مؤسسيها ورجالها الأولون، إذ انقلبت من معاهد علم وإحسان وإرشاد إلى معاهد خرافات وأباطيل مستغلة بذلك غفلة عامة الشعب، وأدى أمر الكثير من الزوايا والطرق إلى إحداث وثنية في الإسلام بطقوسها، وذلك لأنها كنت تروج لطقوس وعبادات وسلوكات دخيلة على الإسلام والمسلمين، إذ أدى ذلك إلى نفور الكثير من الإسلام ونبذه[3].

إن جمعية العلماء المسلمين وأعضائها من بينهم أحمد توفيق المدني خاضوا طيلة الربع قرن من وجودها حربا دينية وفكرية خاصة مع مشايخ الطرق الصوفية وأتباعها، لأن هذه الأخيرة أهدافها ومساعيها تتنافى وأهداف رجال الإصلاح، وذلك لأن بعض مؤسساتها تمثل جمودا فكريا وتسعى إلى الهيمنة على الشعب الجزائري المسلم[4]، والأمر المؤكد أن الطرق

---

[1]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 151.

[2]–احمد توفيق المدني،كتاب الجزائر،المصدر نفسه،ص352

[3]–عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931–1945، المرجع السابق، ص 177.

[4]– عبد الكريم بوصفصاف،جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931–1945، المرجع السابق، ص 177.

الصوفية كانت مساندة للإدارة الاستعمارية مستغلة بذلك امتيازاتها العائلية الممنوحة لها[1]، إذ بعد انتهاء المقاومة الشعبية أصبحت الطرق والزوايا والمشايخ خاضعة لفرنسا التي استغلتها لخدمة مصالحها[2]، خاصة وأنه من بين الأهداف الرئيسية لفرنسا هو القضاء على الدين الإسلامي ونشر المسيحية محله، حيث كان للطرق الصوفية مدارس تمثلت في القادرية، الشاذلية والخلدونة...الخ[3]، وقامت فرنسا بتشجيع دين إسلامي محرف قائم على طقوس الذكر وتقديس الشيخ[4].

لقد كانت الطرق الصوفية تكن عداوة كبيرة لجميع أعضاء جمعية العلماء المسلمين لأنهم حاربوها وحاربوا أفكارهم المخالفة للعقيدة الإسلامية، حيث كانت الطرق الصوفية تعتبر جمعية العلماء المنافس الوحيد لها عن السلطة الروحية والدينية في الجزائر[5].

كان المدني ضد الطرق الصوفية ناقدا أفكارها لأنها تعمل لصالح الإدارة الفرنسية من خلال سعيها إلى تفريق الشعب وتشتيت شمل الأمة الجزائرية، كما أنها تهدف إلى تمزيق الدين وتحريفه، حيث يقول توفيق المدني: "طرق صوفية مضلة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها عذاب، فرقت الشعب، وشتت الشمل ومزقت عرى الدين، حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما، وما أكثر الطرق، يلعن ويسب ويشتم، بل يخرج من الدين كل المنتسبين للطرق الأخرى، وبذلك تحكم الاستعمار وساد"[6].

شكلت الطرق الصوفية خطرا كبيرا على الديانة الإسلامية إبان التواجد الفرنسي الذي كان يسعى لمحو الإسلام من الجزائر، من خلال الاعتماد على الطرق الصوفية وتشجيعها على إسلام محرف، حيث سيطرت هذه الطرق على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي، سيطرة كبيرة خلال القرن التاسع عشر، حيث بلغ عدد الزوايا بالجزائر 349 زاوية، ولقد أدى ذلك إلى بروز فقهاء وعلماء عرفوا بمعارضتهم ووقوفهم في وجه هذه الطرق ومحاربتهم بكل الوسائل، وذلك نظرا للأوضاع التي خيم عليها الجمود وكثرت البدع، حيث بدأ الشك يدب ويجوب نفوس المسلمين[7].

---

(1) –Mahfoud Kaddach ; histoire du nationalisme Algérien 1919–1951, nationale d'édition diffusion, Alger, P 338.

(2)– بكار العايش،حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937–1939م، المرجع السابق، ص 67.

(3)– عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 177.

(4)– بكار العايش، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937–1939م ،المرجع السابق، ص 67.

(5)– عبد الرحمن بن ابراهيم العقون، المصدر السابق، ص 286.

(6)– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 77.

(7)– عمار طالبي، آثار ابن باديس، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م، ص 18.

أولا: المدرسة التاريخية الفرنسية:

1- مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي:

كلما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية أو في دائرة البحر الأبيض المتوسط كلما تحول اهتمام الغربيين إلى تخوف أو سخط و رفض لذلك، و كان الاهتمام و تتبع ما يحدث هو هدف القوى الاستعمارية في ذلك الوقت، املا في ان يجد الاستعمار الثغرات لشن الغارات، وعمل الاستعمار قبل 1830 على جمع كل المواقف المعادية و تقارير القناصل المقيمين بالجزائر و مكتبات الجواسيس و مذكرات الرهبان و رسوم التجارة وتسريحات الأسرى و أوصاف الرحالين.

فالنزعة السائدة هي الكراهية للجزائر، وقد ملأ كتبهم الجو المعادي و الموقف المعاكس لكثرة الأزمات و توتر العلاقات بين الجزائر و معظم الأمم الغربية، فالعاصمة في مؤلفاتهم "حجر اللصوص وعش الصعاليك و جحيم النصارى و جمهورية قطاع الطرق" و حكام البلاد "عيلان إفريقيا" و هم أهل استبداد، معدمو الأخلاق همهم الوحيد هو طلب الملذة و نهب الأموال[1] ، وتفنن هؤلاء المؤرخين في وصف الجزائريين وقالوا أنهم سرب النسور الجائعة غريزتهم النهب والطمع.

كان الأميرال الانجليزي أكسموث (Exmouth) قائد حملة 1816 على مدينة الجزائر يقول متحدثا عن جنوده " المحاربون من أجل قضية المسيحية النبيلة" و إذ تحدث عن الجزائريين قال "حشد المعتصمين"، وقد لاحظ دي غرامون (de Grammont) على سابقية من مؤرخي الجزائر (و على من عاصروه) أنهم أكتفوا بالنقل عن بعضهم البعض " يبلغ هذا ذاك أقوال أولهم الذي بصفته حكم إسبانيا بقساوة شديدة على تصرفات الباراسيك متجاهلا أن مواطنيه كانوا سباقين لمثل هذه الأعمال على شواطئ المغرب"[2].

2- المرحلة الاستعمارية :

---

[1]- مولاي بالحميسي،"موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الخامس، 1988، ص 102 .

[2] – مولاي بالحميسي،المرجع نفسه، ص 104 .

إن الصفة البارزة و المسيطرة في مدرسة التاريخ الاستعمارية هي كونها تحمل طابعا إيديولوجيا بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية، لقد طغى الطابع الإيديولوجي على أعمالها منذ النشأة، و واكب هذا الطابع مسيرتها عبر الزمن على أربعة أجيال، و يتجلى ذلك في سعيها لتهميش المجتمع الجزائري و تقزيمه في أضيق نطاق، ليس فقط بالنسبة لفترة الاحتلال و إنما أيضا بالنسبة لجميع فترات التاريخ عبر العصور، ويمكن أن نقسم مرحلة ظهورها إلى مرحلتين.

أ-المرحلة الأولى من 1830 م إلى 1880م:هي الفترة التي سجلت بداية ظهور هذه المدرسة في الدراسات التاريخية الجزائرية، وهي ككل نشأت تحمل في أكفانها اختلاف، وتعدد في التيارات و الاتجاهات وتفرغا في الاهتمامات و الأهداف التي يبدوا عليها حدة تأثيرات المحيط اللحظي،والاحتياجات الميدانية القائمة على أعمالها وطبعها بهذه الخصوصية التي ميزت فترة النشأة هذه عن الفترة التالية[1]

إن مدرسة التاريخ الاستعماري في مرحلة النشأة لم تكن موضوع المؤرخين المحترفين، و إنما كانت نتاج عناصر جاءت من آفاق مهنية مختلفة وذات مستويات تعليمية تتراوح في المعدل بين متوسطة وضعيفة وعالية، فقد تشكلت في بداية نواتها الأولى من مترجمين معظمهم من ذوي مستوى تعليمي محدود جدا، و نسبة كبيرة منهم ليسوا بالفرنسيين، فقد وقع على هؤلاء عبء تعريف قوات الاحتلال و الإدارة الاستعمارية بالمجتمع الجزائري و بمؤسساته وثقافته وتاريخه.

اتسعت دائرة النشأة لتشمل العسكريين وخاصة أولئك المهتمين بالشؤون الأهلية، و الإداريين المباشرين للشؤون الجزائرية، وحتى بعض المسؤولين على المصالح الفنية التي لها علاقة بالإدارة الجزائرية ، رغم النقص في استعمالهم تقنية نقد النص.

والمجازفة في إلقاء الأحكام والتسرع في إثبات النتائج، و هذه المرحلة لها إيجابيات و تتمثل أولا في توسيع دائرة التوثيق لتشمل جمع المادة حول الجزائر و المجتمع في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرون، وهذا من مختلف جوانبه كون المادة المجمعة تكتسي طابع

[1] – جمال قنان، "مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية و الموضوعية، حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر"، مجلة الدراسات التاريخية، ص 130 .

التحيز في بعض المجالات، وثانيا يتمثل في توسيع دائرة الاهتمام ليشمل العصور المختلفة، ولم تقتصر جهودهم على عصر أو فترة كما حدث بعد ذلك.

ب-المرحلة الثانية من 1880م الى1962م :

بعد 1880 حدث تطور نوعي على هذه المدرسة حيث انتقلت من مرحلة النشأة إلى مرحلة النضج التي كانت تستدعي التخصص والاحتراف، و يواكب هذا التطور من الناحية السياسية تبني سياسة الإدماج وفرنسة الجزائر التي اعتمدتها الجمهورية الثالثة، فتشجيع الاهتمامات بالتراث الفكري والحضاري للمجتمع الجزائري يتطلب أيضا تشجيع اللغة العربية، و النهضة بثقافتها و آدابها[1] ، و هذا يشكل حاجزا أمام أهداف هذه السياسة، وبالتي يجب وضعها على الهامش وتقليص دورها في أضيق الحدود الممكنة تمهيدا لمحوها وطمس معالمها في المستقبل، فالمدرسة وعنصر الزمن سيقومان بتحقيق هذا الهدف.

تمادت هذه المدرسة على نكران الشخصية الوطنية الجزائرية ونفي وجود أي مؤشر عنها عند احتلال فرنسا للبلاد، والتأكد على أن هذه الشخصية لم تظهر إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، و قد حدث ذلك بفضل فرنسا كما تدعي، فموقف هذه المدرسة من المجتمع الجزائري ومن ثقافته ومؤسساته وتقليده باختصار من مقوماته يتميز بالتعالي والسمو، لقد سيطرت عليها النظرة الأوروبمركزية للأشياء، واعتبار أن الحضارة الأوروبية هي حضارة الإنسانية المثلى يجب أن تسير الإنسانية وراءها و بأكملها[2].

أدت تلك النظرة إلى ارتكاب أخطاء كبيرة في فهم الشعوب غير أوروبية ، و إلحاق تشويهات وتحريفات لماضيها وتراثها وحضارتها، فتميزت أعمالها بنوع من الحساسية والرغبة في تصفية حساب قديم، فقد عمدت إلى طمس مآثر الشغب الجزائري و أمجاده عبر التاريخ لنكران وجوه كشخصية وطنية وأخذ حقه في أن يكون له تاريخ و ماضي مثل أي شعب، ولقد بذلت كل ما في وسعها في هذا المجال لدعم وجود سياسة الاحتلال ، وهذا لتسهيل مهمة الإدارة الاستعمارية

---

[1] – جمال قنان، المرجع السابق ، ص132.

[2] – جمال قنان، المرجع نفسه، ص134.

الهادفة إلى تحويل شعب بكامله من حالة مجتمع إلى حالة أفراد مدجنيين، والنقص الذي يلاحظ في منهج عمل مدرسة التاريخ الاستعماري يمكن حصره في العناصر التالية :

- التركيز على بعض الفترات من تاريخ الجزائر وإهمال الباقي.
- تفضيل بعض الوسائل والأدوات المنهجية عن الأخرى أو إهمالها وهذا بعدم ذكرها أو تجريديها أو تسفيهها عند ذكرها.
- التجرؤ على كتابة تاريخ عصر أو عصور بكاملها وفق قالب تم رسمه مسبقا لصب الواقع و الأحداث فيه.
- التسرع في التفسير والتنظير في قضايا تاريخ البلاد قبل استكمال الشروط الضرورية التي تسمح بذلك[1].

هذه النقائص المنهجية مفتعلة وجزء أساسي في تكوين مدرسة التاريخ الاستعماري، وقد واكبت هذه الميزات نشأتها ومرحلة نضجها على السواء، وعمل هذه المدرسة يتمثل في تدعيم الكيان الاستعماري وترسيخ أسسه في مجال اختصاصه.

ثانيا: موقف المدرسة التاريخية الفرنسية من المقاومات الشعبية:

ادعت هذه المدرسة أن الجزائريون عنصريون و متعصبون دينيا و عرقيا و لا يستطيعون التعايش مع الأجانب و المسحيين، لهذا كانوا يثورون باستمرار والدليل على ذلك حسب هذا الإدعاء، هو كثرة رجال الدين في هذه الثورات و الكثير منهم كانوا، يصدونها و يؤيدون زعمائها السياسيين والعسكريين، واعتبرت أن الجزائريين لا يثورون إلا عندما يشتد عليهم الفقر و الجوع و العرى، أما عندما تتحسن وضعيتهم الاقتصادية وتنموا ثرواتهم فإنهم لا يثورون و يرضون بالحكم الأجنبي واحتلالهم فلا وجود لديهم سبب للدفاع الوطني، وهذا الإدعاء استعماري بحت تبناه معظم من كتب على ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين أمثال : لويس رين، روبين، شاتولي، لوسياني، بيليسي، شارل ريشار، أغيستان برنار وغيرهم، واعتبروا أن معظم هذه الثورات ليست وطنية جزائرية لأنها اندلعت بسبب إيحاءات من الخارج من قبل قوة أجنبية، فاتهموا الشيخ

[1] – جمال قنان، المرجع السابق، ص136.

المقراني والحداد و محي الدين أب الأمير عبد القادرلمعاملتهم للبروسيين الألمان و الدولة العثمانية، و اتهموا الشريف بوشوشة وبن ناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله بمعاملتهم للسنوسيين، واتهموا آخرين لمعاملتهم للإنجليز المنافس لهم في نشاط الاستعماري الاستغلالي [1].

مما تجدر ملاحظته هنا هو أن السلطات الفرنسية الاستعمارية خلال عهود الملكية جويلية (1830-1848)، والجمهورية الثانية (1848-1852)، والإمبراطورية الثانية (1852-1870)، اتبعت سياسة استمالة العائلات الأرستقراطية إليها، وإسناد وظائف كبيرة لزعمائها مثل : القايد، الآغا، الباش آغا، الخليفة، وشيخ العرب لتتمكن بواسطتهم إخضاع السكان إليها بسهولة حتى منتصف عقد الستينيات (من القرن التاسع عشر)، ثم بدأت بعد ذلك من تغيير سياستها، وأصبحت تميل إلى تطبيق الحكم المباشر والاستغناء عن وساطة هذه العائلات الكبيرة وزعمها بعدما قضت حاجتها، وقد ألح المؤرخون على طابع الشخصي لهذه الثورات وغياب البعد الوطني فيها.

فقد أرخ لويس رين Louis Rinn لثورات 1871 ونعت قادتها السياسين وعلى رأسهم الباش آغا المقراني والشيخ الحداد و الرحمانيين بالإقطاعيين بالتعصب الديني،والعرقي، فهم ضد النصارى المسحيين فقد تمردوا على السلطة للدفاع عن مصالحهم
الشخصية، أما بول أزان Paul Azan أرخ لمقاومة الأمير عبد القادر وأختار عنوان لكتابه " الأمير عبد القادر 1808- 1883 من التعصب الإسلامي إلى المواطنة الفرنسية"

نجد أيضا شارل أندري جليان Charles André julien وهو مؤرخ معاصر يعتبر البعض معتدلا ونزيها، ولكنه في الحقيقة سار في نفس الاتجاه (المدرسة الاستعمارية) وعلى وعلى نفس المنوال ، فقد أرخ للحركات الوطنية في كتابه "إفريقيا الشمالية تسير" دافع فيه على الاستعمار الفرنسي وأفتخر بأعماله ومنجزاته ، بينها دأب على التحريض بالوطنيين الجزائريين وإثارة روح التفرقة العنصرية، والطائفية فيما بينهم باستعماله كلمات : البربر، العرب عن قصد

[1] - يحي بوعزيز: "حروب المقاومة في الجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية "، مجلة الدراسات التاريخية، المرجع السابق، ص 162 .

وتعمد، فهو يحاول أن يفاضل بين الفتح العربي الإسلامي، وبين الغزو الفرنسي الاستعماري للجزائر، ويحاول أن يقارن بين مجازر الحجاج بن يوسف في العراق وابن المعارفي في ليبيا، وبين مجازر الجيش الفرنسي في الجزائر [1].

اعتبر جليان أن الماضي إفريقيا غير قاد على الاستقلال، و غوتيGautier اعتبر المغاربة متخلفين وأنهم لا يملكون أي فردية إيجابية، فهذه مواقف وأراء مختصين في تاريخ المغرب وقد أثروا على منتجي الإيديولوجية الاستعمارية مثل باسي H .Basset فلا ننسى أنهم الأوائل الذين من ترجموا أبن خلدون فقد كانوا بحاجة لتبرير موضعي من أجل ربط المغرب بالحضارة اللاتينية المسيحية، اعتبروا أن الذين أتوا قبل وبعد الرومان هم مهدمين ومخربين حتى دخول الفرنسيين، كانوا دائما يدافعون ويؤكدون على امتياز العبقرية اللاتينية[2] ، فيري جليان أن احتلال المغرب من قبل الفرنسيين منطقي وطبيعي، فمن أجل إخراج المجتمع الجزائري من الهاوية والجمود يجب القضاء على اللغة العربية و الإسلام لهذا فهم يهتمون بمرحلة محددة من التاريخ و يعطونها الأولوية وخاصة المرحلة اللاتينية، فالسرد بهذه الطريقة لا يمكن أن يوصل نتيجة ،فالتاريخ لا يمكن أن نميزه عن الحاضر ولكن أيضا عن المستقبل " فالأبعاد الثلاثة للزمن تمشي يدا بيد،يجب دائما أن تكون هذه الحقيقة في أذهاننا لفهم ما يحدث حول الذات وفي الذات"[3] .

وعلى غرار لويس رين، بول أزان، وشارل أندري جليان فعل معظم من كتب وأرخ للمقاومة المسلحة الجزائرية أمثال: شارل فيرو Charles Féraud ، وترو ملي Trumlet، و روبان Robin، ومارغون De Margon، ولوسياني Luciani، و فاشي Wachi، و هيربيون Herbillon، وغارو Henri Garrot، وبورجادو Bourjade، شاتولي Chatellier، فوانوا Voinot وغيرهم كثيرون...

---

[1] – يحي بوعزيز: "حروب المقاومة في الجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية ، المرجع السابق ،ص ص164.165.

[2] – Abdleghani megherbi , Culture et perseonnnalité algérienne, de massinissa à nos jours, Entreprise nationale du livre, alger, 1986, p 63 ..

[3]– Abdleghani megherbi , Culture et perseonnnalité algérienne, de massinissa à nos jours Ibid, p 66.

ثالثا: المؤرخون الفرنسيون وكتاباتهم التاريخية كلود فاتان نموذجا:

يعتبر جون كلود فاتان من الكتاب الفرنسيين المختصيين في علم السلالات ودراسة المجتمعات، ومن المهتمين خاصة بلدان المغرب العربي، العهد الحديث والمعاصر، وله عدة دراسات عبر فيها عن آرائه وأفكاره، فهو يفتخر بأن العلم الفرنسي قد أحدث عدة نماذج للإسلام في الغرب.

حاول الفرنسيون فصل المغرب عن المشرق وتفتيت المغرب وإبحاء الفروق بين أجزائه (الجزائر، تونس، المغرب) في العادات والتقاليد، وتعاليم الطرق الصوفية، وسيرة الحكام وأصول السكان (عرب – بربر) والقانون العرفي السائد بينهم، ولم يكتفوا بذلك وحسب وإنما وجودا فروقا أخرى داخل المجتمع نفسه، وشرحوه إلى ملل وديانات ونحل ولهجات وغيرها، فقد عمل الفرنسيون (عسكريون، سياسيون، إداريون، فنيون وجامعيون) إيجاد تفاسير عديدة للمفهوم الإسلامي وقسموه إلى أصناف عديدة منها: إسلام المذهب الملكي، إسلام الطرق الصوفية، إسلام العلماء، كذلك فعلوا باللغة العربية، فأوجدوا لها اللهجات لتنافسها وطوروها للقضاء على وحدة اللسان والاتصال والتعاون والتماسك بين السكان، وزاد فاتان لهذه الرؤية عمقا لإهتمامه بعلم السلالات.[1]

1- موقف فانتان من الكتابات الفرنسية:

يدافع بقوة عن كتابات الفرنسيين الذين تناولوا تاريخ الجزائر في مختلف فتراته، ومن ذلك أنه إعتبر بيليسي دي رينوا أول من وضع تصميمات وإحصاءات شاملة عن تاريخ الجزائر مع العلم أنه لم يشر ولو إشارة بسيطة إلى إهمال بيليسي، وغيره الإعتماد على الوثائق التركية والجزائرية في مثل هذه الميادين العلمية، بل حاول تبريرها بعدة مبررات منها انتماء هؤلاء المؤرخين إلى حصارة معينة (مختلف الثقافة، اللغة والدين) هو الذي ساهم في تحديد مفاهيم لتاريخ المغرب العربي، وهذا مبرر مقبول كون الفرنسيين تسيطر على كتاباتهم إيديولوجيات خالية من الروح العلمية.

المبررات الأخرى التي قدمها ليست مقبولة في شيء ذلك أنه يحددها في كون تاريخ المجتمعات المغربية ملئ بالحروب، والنزاعات شبه دائمة بين مختلف مكوناته، الشيء الذي أدى إلى الانفجار ومهد إلى التدخل التركي ثم الفرنسي بعد ذلك، وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن فانتان لم يخرج إطلاقا عن فلسفة الكتاب الفرنسيين القائلة بأن المجتمع الجزائري يتكون من قبائل متنافرة تتخبط في حروب مستمرة، ولا تخضع إلا للقوة الخارجية مثل الرومان والأتراك والفرنسيين، والمعروف أن التدخل العثماني في الغرب العربي لم تكن أسبابه النزاعات الداخلية كما ادعى فانتان، وإنما كان سببه الرئيسي الاستعماري على السواحل المغربية، أما الاحتلال الفرنسي فسببه التوسع الاستعماري العسكري الرأسمالي وقد سهل ضعف الإمبراطورية العثمانية هذا الاحتلال.[2]

---

[1] يوسف مناصرية: "أراء المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر من خلال كتابات جون كلود فانتان"، المرجع السابق، ص 193.

[2] يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص195.

2- موقف فانتان من بعض المؤرخين المغاربة:

يلوم المؤرخين على تأثرهم بالمشارقة والعرب المسلمين، ورفضهم جميع الدراسات الأجنبية السابقة التي كتبت حول تاريخ المغرب، واعتبر ذلك ذنبا لا يغتفر ويرجع ذلك إلى الامتلاك المفاجئ للميدان العلمي من طرف هؤلاء المهتدين الجدد للتعبير عن مبدئهم وتنفيذ رأيهم، ولم يكتفي بذلك وإنما ذهب إلى القول بأن الإسلام في المغرب عامة والجزائر خاصة يبقى متباين في الواقع العلمي على جميع المستويات[1].

انتقد الكتاب المغاربة وقدم عليهم الكتاب الآخرين الذين تثقفوا ثقافة غربية وآمنوا بالعلم الغربي واللغة الفرنسية والحضارة الأوروبية، وذكر منهم محمد أركون من الجزائر وهشام جعيط من تونس وعبد الله العروي من المغرب الأقصى، ووصفهم بالمثقفين العالميين الذين فاقت ثقافتهم مستوى بلدانهم، ونعت حدودها، وإعتبرهم الممثلون الأوائل للنخبة المغربية المثقفة، وأنهم هم الذين فتحوا أفاقا علمية عريضة وعالمية لمجتمعاتهم، ذلك أن عبد الله العروي جاء بآراء جديدة حاول من خلالها وضع إيديولوجية للمغرب العربيـ أقامها أساسا على المنهج الماركسي، لاعتقاده على أنه أكثر فاعلية وواقعية لتفسير أحداث المنطقة.

من تونس هشام جعيط الذي لاحظ الفرق الشاسع بين المغرب والغرب، كون الأول متمسكا بعروبته وإسلامه، أما المغرب فهو أكثر تفهما وتفتحا في نظره على تقنيات الغرب وحضارته، ومن الجزائر محمد أركون فقد أصر بالتعرف علميا على مستويات العادات الإسلامية وإعادة التعرف عليها من أجل مراقبتها ومجادلتها لبناء التنمية الاقتصادية والثقافية في المغرب، وأكد هو أيضا على فهم العلاقة المتبادلة بين المشرق والغرب وإدخال المفاهيم عليها في تفسير التاريخ المغربي والمشرقي.[(2)]

لا يجب نقد كلية أعمال المؤرخين الغربيين لما فيها من مادة أولية أساسية ومهمة في إعادة كتابة التاريخ الوطني، وأن المعربين أو المفرنسين (المفرنسين ليسوا مغربين) قد عملوا ما بوسعهم على كتابة تاريخ وطني يكون الركيزة لبناء وتطور الجزائر، فيجب أن يكون اعتراف مزدوج بينهما حول إيجابيات وسلبيات كل تيار تاريخي، فيجب كتابة التاريخ بروح موضوعية، ولكن ليس الموضوعية المطلقة التي لا يمكن أن تتحقق أبدا.

رابعا: المدرسة التاريخية الجزائرية وانجازاتها:

1- المدرسة التاريخية الجزائرية:

عانت الجزائر من ويلات الاستعمار لمدة طويلة، حاليا وهذا ما أثر على هيكلتها العامة، فالتاريخ لم يلفت من قبضة الاستعمار فقد أصبح حقل تلاعب و رهان يستعبد أي أسس علمية

(1) يوسف مناصرية، "أراء المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر من خلال كتابات جون كلود فانتان"، المرجع السابق ، ص196.

(2) يوسف مناصرية المرجع نفسه، ص197.

للممارسة التاريخية، مع العلم أن "الكتابة التاريخية لا تحركها العواطف الحبة و المعادية، و إنما الكتابة التاريخية بالذات كتابة توظيفية في الغالب الأعم، الذين يكتبون التاريخ إنما هم في الحقيقة يوظفونه غالبا لمصالحهم القومية"[1] .

تتميز الكتابات التاريخية عامة في الوطن العربي حاليا بأربعة اتجاهات أساسية:

1 –الاتجاه التقليدي الذي حافظ على نظرة المؤرخين القدامى، و يعرض التاريخ الإسلامي ويركز على البعد العالمي للدين، ويبرر الأحداث بالقدر الإلهي، و لا ينتقد رواية الخلف الصالح.

الاتجاه القومي، سواء عربيا أو قوميا أو محليا أو إقليميا، يركز على تمجيد الماضي بطريقة رومانسية، وهذا النوع يخضع لفكره سياسية مسبقة، فهو يغالي في تعظيم الماضي القومي، يستعمل النقدي في حق الغير ولا يستعمله لذاته.

2 –الاتجاه الماركسي، يستعمل منهج متحيز فهو غير شمولي يركز على البعد الاقتصادي في التحليل ويرفض الأبعاد الأخرى (الاجتماعية، الثقافية، الدينية...)في التحليل.

الاتجاه الوضعي فهو أكثر شمولية إذ يحلل التاريخ بمختلف أبعاده، مادية كانت أو روحية أو سياسية أو اقتصادية.

3 –ظهرت المدرسة التاريخية الاستعمارية لتبرر الغزو والسيطرة الإمبريالية سموها الحضاري و الثقافي على حساب الشعوب المستعمرة، أما المدرسة التاريخية الوطنية (الجزائرية) فكانت تهدف مواجهة ذلك التضليل من أجل رد الاعتبار للتاريخ الوطني.

المدرسة التاريخية الجزائرية القديمة هي مجموع الكتابات التي كتبت أثناء الاحتلال وكانت تسعى للمحافظة على ما تبقى من ثقافة وتراث وغرس الروح الوطنية في الأجيال، و قد بحث المؤرخون في تلك المرحلة عن فترات الازدهار للجزائر، رغم هذا فإن تلك الكتب غير أكاديمية فهي تهتم بالجمع والسرد بطريقة عاطفية و أدبية. [2]

---

[1]– محمد الطاهر العدواني، "حول النهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة"، في إتحاد المؤرخين الجزائريين، المدرسة التاريخية_الجزائرية، وسام للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 998 1، ص37.

[2] – عبد الله العروي، العرب والتاريخ، دار الحقيقة، بيروت، ط3، 1989، ص79.

بقيت الأصول المنطقية حتى نهاية القرن التاسع عشر التي يبني عليها علم التاريخ في الجزائر مثل التي يبني عليها المؤرخون العرب – المسلمون إنتاجهم الفكري في العصر الكلاسيكي القديم، فالتاريخ مرهون بالزمن الديني أي التفسير للأحداث بدليل إلهي، ففي مؤلف " ديون المتابل" لم يرى المؤلف في فتح الجزائر وهزيمة الأتراك عام 1830 إلا آية ربانية يعاقب بها الله الظالمين، نفس التفسير والتحليل نجده في كتاب مسلم بن عبد القادر "أنيس الغريب و المسافر" فكل كارثة تصيب الأمة ما هي إلا عقاب إلهي، فنظرية العقاب الإلهي و التاريخ يتساويان[1] .

نفس المنطق نجده في كتب أخرى، نجد محمد بن يونس الزياني في كتابة "دليل الحيوان وأنيس السهران" ففي كلامه عن وصول الأتراك إلى الجزائر يذكر خمسة تواريخ مختلفة دون أي تعليق يذكر على تلك التواريخ، مع العلم أن الفرق بين السنة الأولى والأخيرة وثلاثة و عشرون (23) سنة، تتميز عموما كتابات مؤرخي القرن التاسع عشر في المغرب بغياب التسلسل المنطقي أثناء سردهم للأحداث، هذا ما أوجد التصور المثالي للماضي ولا يغير هذا التصور إلا بعد القرن التاسع عشر.

أصدر كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" لأبوا القاسم الحفناوي و قد نشرته دار فونتانا سنة 1907م، وقبله شرع الناشر الجزائري أحمد بن مراد التركي في نشر الأجزاء الثلاثة لكاتب"، تاريخ التمدن الإسلامي"، في 1910م نشر بن الشنب كتاب "الرحلة" للورتلاني، و"عنوان الدراية" للغبراني، و "نخلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى اللبيب" لأبن عمارة، تتميز أيضا الكتابة التاريخية في البدايات الأولى من القرن العشرين بسرد سلسلة أحداث أسطورية تاريخية تنظم في مجموعات شاذة لا تخلوا من الفوضى و انعدام التسلسل الزمني[2] .

ثم ظهر بعد ذلك التاريخ القومي بظهور أعمال أحمد مبارك الميلي " تاريخ الجزائر القديم والحديث" سنة 1929، و أحمد توفيق المدني "كتاب الجزائر" سنة 1932، و عبد الرحمان

---

[1] – هواري تواتي: "التاريخ الجزائري من القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين من الخبر إلى التأريخ"، المرجع السابق، ص144.

[2] – عمار الهلالي: "مكانة المصادر العربية في كتابة التاريخ الوطني"، في معهد علم التاريخ، الملتقى المغاربي الأول_للمصادر و الراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830–1962، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ت)، ص17.

الجيلالي "تاريخ الجزائر العام" سنة 1953، فأعمالهم كانت " تهدف إلى تربية النشء وتكوينه سياسيا و ثقافيا هذا ما يجعله دوما متماسكا بأصوله و غيورا على الحضارة التي ينتمي إليها"[1] ، و نجد أيضا ظهور كتابات تاريخية مفرنسة مثل كتابات عب العزيز خالدي و إصدار لكتاب " القضية الجزائرية أمام الوعي القومي " سنة 1946، ومحمد الساحلي، و مصطفى الأشرف الذي خصص إحدى مقالته للمقاومة ضد الاستعمار سنة 1954.

2- إنجازاتها:

أثناء المرحلة العثمانية ظهرت مؤلفات تاريخية ألفها جزائريون مثل الورثلاني، الناصري، العدواني، بن العقون، بن هطال التلمساني، و بن ميمون و غيرهم، فقد كتبوا عن أحداث تلك الفترة و ترجموا لرجالات العصر، ثم تأتي المرحلة الثانية (1929- 1962) فهي تبدأ بظهور كتاب محمد مبارك الميلي حتى الاستقلال، أغلب أعمال تلك المرحلة كانت تهدف إلى "ربط الأجيال بالتعرف على ماضيهم التليد، ومشاركتهم في الحضارة الإنسانية، و إلى إحياء الشعور القومي من خلال تعرفهم على تاريخهم الموغل في أعماق التاريخ"[2].

ثم تأتي المرحلة ما بعد 1962، وتتميز بظهور أعمال خريجي الجامعات و المختصين في التاريخ، فنجد كتابات حول مرحلة ما قبل التاريخ، ولكنها قليلة ونادرة لما تتطلبه من شروط صارمة ومن استعدادات خاصة وعمل ميداني جبار، ونذكر منها دراسات محمد الطاهر العدواني، محمد سحنوني، و في التاريخ القديم نجد أعمال البشير شنتي و محمد الصغير غانم "التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية في بلاد المغرب". و محد الصغير غانم "التوسع الفينيقي في البحر المتوسط"، فكلها أعمال أكاديمية تتميز بعمق التحليل، انتقدت مختلف أعمال المدرسة التاريخية الفرنسية.

أما العصر الوسيط نجد أعمال ودراسات موسى لقبال "المغرب الإسلامي "، و رشيد بوروبة عن الدولة الحمادية، و دراسات عبد الحميد حاجيات، فقد حاولوا دحض أراء غزال وغوتي وغيرهم

---

[1] – هواري تواتي، المرجع السابق، ص 145 .

[2] – محمد الطاهر العدواني، المرجع السابق، ص 58 .

من المؤرخين الفرنسيين، أما العصر العثماني فنجد أعمال مولاي بلحسين "تاريخ البربرية الجزائرية" فهو رد على المدرسة التاريخية الاستعمارية التي كانت تبتر المرحلة العثمانية حيث كانت تعتبرها مرحلة الشرور و الآثام، ومجد أيضا دراسات نصر الدين سيعدوني، دون أن ننسى العمل الجبار الذي قام به أحمد توفيق المدني في جلب الوثائق العثمانية إلى الجزائر لتكون مادة علمية في أيدي الباحثين[1] .

نجد كذاك مجموعة من المؤرخين الذين اهتموا بالمرحلة الاستعمارية، مثل أبو القاسم سعد الله في كتابه حول الحركة الوطنية و التاريخ الثقافي للجزائر، ومحفوظ قداش الذي كان يرى أن الكتابة التاريخية تسعى إلى "استكشاف ماضينا فيجب أن يكون مبرأ من النزوات والمبالغات و التبريرات... وهذا التاريخ يركز على دراسة الوثائق وجمع المصادر الموجودة، وذلك بنقدها وتفسيرها"[2] ، وقد ساهم هو كذلك في إثراء المكتبة الوطنية بأعماله التحليلية و النقدية حول الحركة الوطنية و اهتم بجمع الوثائق.

تتميز عموما في السنوات الأخيرة الأعمال الخاصة بالتاريخ الجزائري الحديث حسب عبد القادر جغلول بالميزات التالية:

أ- تجديد الاهتمام الموافق للحقبة التي سبقت تكوين ونمو الحركة الوطنية.

ب-الاهتمام الخاص الموفق ليس فقط للتحولات الاقتصادية و السياسية، بل أيضا للتغيرات التي أصابت المستوى الثقافي و بشكل خاص مستوى التعليم.

ت- العمل على تحديث التاريخ للتكوين الاجتماعي الجزائري، الذي لا يكون فقط بدراسة من وجهة نظر الاستعمار ونتائجه، و إنما أيضا و في نفس الوقت دراسته من وجهة نظر المجتمع الجزائري المستعمر، ومن ردود أفعاله المختلفة في الرفض، و المقاومة و التمثل و الاستيعاب Assimilation.

---

[1] – محمد الطاهر العدواني،المرجع السابق، ص 61 .

[2] – محفوظ قداش، محمد قلنش، نجم الشمال الإفريقي 1926–1937، ديوان المطبوعات الجامعية، د،ب، د، ت، ص 7 .

تهدف هذه النظرة الجديدة تصفية الاستعمار في المقاربة التاريخية للتكوين الاجتماعي الجزائري، وهذا بفرضها لدقة التحليل لتناقضات الاستعمار و تناقضات الجتمع الجزائري المستعمر[1].

يرى الصادق دهاش أنه "قد يكون الحديث عن المدرسة صعبا في غياب الكتابات التنظيرية التي تعطي لها البعد الحقيقي، غير أنه لا يمكن إعتبار هذه الكتابات تدخل ضمن المدرسة الجزائرية، بإعتبارها تمثل وجهة النظر الجزائرية للتاريخ الوطني، لكونها تهدف إلى إعادة الاعتبار له بكتابته و إخراجه في مضمونه الوطني و ردا على أطروحات المدرسة الفرنسية و مؤريخها، اعتمادا على البحث الجاد و النزاهة العلمية"[2].

إن النقاش مازال دائرا حول إشكالية تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية، رغم عدم وجود تنظير عام و شامل لها كما ذكرنا سابقا، لكن هذا لا يمنع وجود مبادرات فردية هامة ستساهم مستقبلا في إرساء الأسس القاعدية و النظرية لهذه المدرسة، زيادة على عدم وجود التنظير نجد أسباب أخرى لعدم ظهور المدرسة، مثل النقص في الإمكانيات المادية و المعنوية التي تسهل عمل المؤرخ كالنقص في المراجع و المصادر الأساسية ما يتطلب التنقل في مختلف الدول بحثا عنها، وهذا في إطار نقص إن لم نقل غياب المكتبات المتخصصة، وغياب أيضا قانون المؤرخ الذي يحدد مهامه و يحميه من التعسف الذي يعاني منه الحقل العلمي في الجزائر.

---

[1]–عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسيولوجية)، تر: فيصل عباس، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1983 . ، ص 145.

[2] – مسعود كواتي،" المدرسة التاريخية منجزات الحاضر ومهام المستقبل"، في اتخاذ المؤرخين الجزائريين، المرجع السابق، ص 63 .

الخاتمة

في نهاية هذا الفصل ومن خلال ما تقدم يمكن أن نستخلص ما يلي:

1-أن التكوين العلمي الثقافي للمدني في المدارس التونسية ثم في جامع الزيتونة مركز الإشعاع وصاحب الفضل في نهضة تونس وجيرانها مكنه من اكتساب تكوين ثقافي متين في علوم القرآن واللغة العربية وآدابها، إلى جانب تعلمه اللغة الفرنسية وإتقانها مما ساعده على الاطلاع على الثقافة والأدبيات الأوروبية الفرنسية خاصة، وأهله ذلك لئن يضطلع بمهام وطنية لاحقة.

2-انخراط المدني المبكر وهو دون سن العشرين في الحياة السياسية، والتحاقه بالحزب الدستوري الحر وتدرجه في المسؤوليات التنفيذية داخل الحزب إلى أن صار عضوا قياديا في اللجنة التنفيذية المركزية مكنه من البروز كشخصية سياسية وطنية وقومية ذات توجه عربي إسلامي، ونزعة تحررية أكسبته التجربة والخبرة، وزودته بقلم صحفي واعد وثقافة واسعة، تجمع بين أصالة المرجع والموقف وعصرنة النظرة والتحرك.

3-أن حضور المدني إلى الجزائر بقرار النفي بقدر ما كان نقمة على تونس وعلى الحزب الدستوري الحر التونسي بفقدانه أحد أبنائه ومناضليه وقياديه البارزين بقدر ما كان منحة ونعمة على الجزائر وعلى الحركة الإصلاحية الوطنية خاصة التي استفادت من نشاطه ومواهبه، بأشكال مباشرة وغير مباشرة، وتدعمت بمؤرخ أحيا تاريخها وصحفي أثرى إعلامها ومصلح ساهم في إيقاض الأمة الجزائرية، وربطها بانتمائها الوطني والقومي والحضاري.

- كان للمدني مساهمات في الساحة السياسية الوطنية الجزائرية حيث وظف كل طاقاته وإمكانياته من جل الدفاع عن القضية الجزائرية وعمل من أجل فضح السياسية الاستعمارية والإجراءات التعسفية المطبقة ضد الشعب .
- إن دور المدني كان إيجابيا وفعالا وفق منهج علمي لغرض تحديد مهمات العمل المشترك لاستكمال مشروعه الوطني الثقافي ورسالته الحضارية والإنسانية و حتى يكتمل ذلك فإنه يجب في نظرنا الاضطلاع الى :

1- إعادة الفعالية للروح الوطنية في الحياة العملية ضمن إطار منظومة اجتماعية وثقافية موصولة الجذور بتاريخنا وهويتنا الوطنية والقومية .

2- إحداث ثورة ثقافية تقوم على الحقيقة المجسدة لقيم وعناصر الأخلاق والعمل والصناعة والجمال .

3- إعطاء البعدين القومي والإنساني لمفاهيم الثورة والاستقلال والتحرر لتشق من خلالها ثورتنا طريقها نحو تصنيفها ضمن العمل الإنساني والموروث الحضاري الذي يضاف إلى الجهد الإنساني المتكامل .

- من أهم أعماله على الساحة السياسية مشاركته في تحرير بيان الشعب الجزائري عام 1943 مع فرحات عباس الذي يعبر عن آمال وتطلعات الأمة الجزائرية وسعيها لتحقيق الاستقلال.
- ولج المدني عالم التأليف من خلال مساهمته في إعداد الكثير من المؤلفات القيمة نذكر منها حياة كفاح بأجزائه الثلاث وجغرافية القطر الجزائري المسلمون في جزيرة صقلية وغيرها.
- استطاع أحمد توفيق المدني أن يثري المكتبة التاريخية الجزائرية والعربية بمجموعة نادرة من المؤلفات التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها والتي فاقت العشرين مؤلفا رغم الظروف التي كتبت فيها والتي كانت فيها الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي.

واستنادا إلى النتائج المتحصل عليها نجد أنه :

- يجب إعادة النظر في التاريخ المكتوب وهذا راجع إلى الصراع والنزاع الموجود بين أطرافه التي تشكله بين الفاعلين من جهة والإيديولوجيات من جهة أخرى الى جانب تغير منهجنا وآراؤنا وتطلعاتنا.
- إن التاريخ العربي الإسلامي عامة والجزائري خاصة يعاني من صعوبات كتابته وهذا راجع لمشاكل التاريخ الاستعماري وأيضا مشاكل الكتابات التي عملت على تصفية الاستعمار عن التاريخ وهذا لما تتميز به من ذاتية وروح حماسية .

البيبلوغرافيا

المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية:

1/ المصادر:

1-عقون عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1986م

-فضلاء محمد الطاهر، التحريف والتزييف في كتاب "حياة كفاح"، الجزائر، دار البعث، 1982.

2-مدني أحمد توفيق، حرب، الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)، ج4، الجزائر، عالم المعرفة، 2010م.

3- مدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 2007م.

4-مدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج1، الجزائر، عالم المعرفة، 2010م.

5-مدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج3، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م.

6-مدني أحمد توفيق، رد أديب على حملة أكاذيب، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

7-مدني أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1986م.

8-مدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ط2، الجزائر، دار الكتاب،1963م.

9-مدني أحمد توفيق، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

10-مدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، الجزائر، الشركة الوطنية للكتاب، 1986م.

11-مدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، الجزائر، عالم المعرفة، 2010م.

2/ المراجع:

1-بن قينة عمر، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، الجزائر، ديوان المجموعات الجامعية، 1995م.

2-بن قينة عمر، الفكر العربي الحديث (الإعلام، قضايا، مواقف)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية 1993.

3-بوضرساية بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، الجزائر، دار الحكمة، 2007.

4-بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

5-بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009م.

6-التواتي الهواري، التاريخ الجزائري من القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين من الخبر إلى التاريخ، ضمن كتاب أنتلجاسنيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة، بيروت، 1986م.

7-جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، بيروت، دار الحداثة، 1984م.

8-جيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية 1900-1954م الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987م.

9-حمدي فاطمة ، المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية ، 1950-1954 ،من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية ، ديبلوم الدراسات المعمقة ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر .

10- سعد الله أبو القاسم، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر، ، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2005م.

11- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007م.

12- سعد الله أبو القاسم، منطلقات فكرية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1976م .

13- سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة)، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م.

14- ـــــ من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م.
15- شترة خير الدين ، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية ، 1900 – 1939 ، الجزائر ، دار البصائر للنشر /2009م .
16- صاري جيلالي، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850م–1950م)، ترجمة: المعراجي عمر، الجزائر، وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى "45" لعيد الاستقلال والشباب، 2007م.
17- طالبي عمار ، آثار ابن باديس م 1 ط1 ، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، 1968م.
18- العايش بكار ، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 193- 1993م ، (دط) ، دار الشطايبي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013م.
19- العدواني محمد الطاهر ، حول النهج العلمي لكتابة تاريخ الثورة ، في اتحاد المؤرخين الجزائريين ، المدرسة التاريخية الجزائرية ، وسام براس للإعلام والنشر والاشهار ،° الجزائر ، 1998م
20- العروي عبد الله ، العرب والتاريخ ، ط3 ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1989م.
21- عمورة عمار، تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1989)، ج1، الجزائر، دار المعرفة، 2006م.
22- فضلاء محمد لحسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، الجزائر، دار هومة، 2000م.
23- قداش محفوظ، جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر 1830م–1954م)، تر: محمد المعراجي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، 2008م.
24- قنانش محمد، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (بلا تاريخ)
25- كواتي مسعود، مواقف وآثار ونصوص، الجزائر، دار طليطلة،2011م.
26- مدني بشير ،علم من معالم المدرسة الجزائرية ، اتحاد المؤرحين الجزائريين ، الجزائر ، 1988 .

27- مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962م،الجزائر دار هومة، 2009م.

28- ـــــ نهضة الأدب العربي المعاصر (1925م- 1954م)، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1983م.

29- الميلي أحمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، الجزائر، دار الكتاب العربي، 2007م.

30- الوناس الحواس ، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954 .

/ المجلات و الجرائد:

1- ابن باديس عبد الحميد: "كتاب الجزائر ويمثل ذلك يؤدي الواجب أيها الجزائري الناشئ"، الشهاب، ج3، مارس 1932م.

2-ـــــ "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791"، الشهاب، ج7، م13، سبتمبر 1937م.

3-بوعزيز يحي ، حروب المقاومة في الجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الخامس ، 1988م.

4-الخرفي الصالح ، الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث ، الثقافة ، العدد 01 ، الجزائر ، مارس 1971م .

5-خرفي الصالح: "الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث"، مجلة الثقافة، العدد 01، الجزائر، مارس 1971م.

6-عمرون نور الدين ، المسار المسرحي الجزائري الى سنة 2000، ط 1 ،شركة باتنيت ، باتنة ، الجزائر.

7- مجلة التاريخ ، محمد الطاهر العدواني ، كلمة تأبين بمناسبة الأربعين ، العدد 18 ، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985م.

8- جمال قنان، مجلة الدراسات التاريخية ، مدرسة التاريخ الاستعماري بين الأيديولوجية والموضوعية ، حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر .

9-مجلة تاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، عدد 18 ، الجزائر، 1985.

10-المدني أحمد توفيق (أبو أحمد): "أقتلوا الاستعمار أو يقتلكم الاستعمار"، البصائر، العدد02، الجزائر 01 أوت 1997.

11-المدني أحمد توفيق (المنصور): "بين الموت والحياة"، جريدة الإصلاح، العدد13، الجزائر، 27 فيفري 1930م.

12-مناصرية يوسف ، أراء المؤرخين الفرنسيين في كتاب التاريخ الجزائري ،كتابات فاتان جون كلود ، العدد السادس ، 2005م.

13- مولاي بالحميسي ، موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الخامس 1988م.

14-ميسوم بلقاسم: "كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية"، مجلة المصادر، العدد 16، السداسي الثاني، 2007م".

5/ مذكرات الماجستير و رسائل الدكتوراه:

1-بوثريد عائشة، دور مجلة الثقافة في نشر المعرفة التاريخية بالجزائر (1971م-1989م) رسالة الدكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2010م.

2-حرزون عبد الغاني، نادي الترقي ودوره في الحركة الإصلاحية بالجزائر (1927م-1939م)، رسالة لنيل شهادة أستاذ تعليم ثانوي، قسم التاريخ والجغرافيا، جامعة بوزريعة الجزائر، 2008م.

3-خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري بقسنطينة، 2007م

4-قاسمي يوسف، المثقفون الجزائريون المعربون والثورة التحريرية 1954م-1962م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2001م.

5-كعوان فارس، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962م، مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ والآثار، 2007م.

/ الموسوعات:

1-بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830-1954م)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

2- خيثر عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2008م.

3-نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت ،لبنان ،1980 .

/ المعاجم والقواميس:

1. أوعمران الشيخ، وسعيدوني ناصر الدين، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر، جامعة الجزائر، 1995م.
2. بوصفصاف عبد الكريم، معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، الجزائر، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، 2004م.
3. شرفي عاشور، معلمة الجزائر (القاموس الموسوعي: تاريخ، ثقافة، أحداث، وأعلام ومعالم)، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009م.

ثانيا المصادر و المراجع باللغات الأجنبية:

A OUVRAGES

1- ⁽Abdleghani megherbi , Culture et perseonnnalité algérienne, de massinissa à nos jours, Entreprise nationale du livre, alger, 1986, p 63 ..
2- Mahfoud Kaddach ; le parti du peuple Algérien (P.P.A) 1937-1939 ; office des publication universitaires, Alger, 1983
3- . ———histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, nationale d'édition diffusion, Alger.

4- Robert et Maroinne cornevin ; histoire de l'Afrique des origines à la 2° guerre mondiale, petite bibliothèque poyot, Boulvard Saint Germain, Paris.

الملاحق

الملحق رقم(01)

شخصية أحمد توفيق المدني

المصدر: WWW.EL MADANI.ORG

منحق رقم (02)

التقرير الثاني

من الإقامة العامة الفرنسية بتونس

إلى وزارة الخارجية

بعد إبعادي عن تونس

9 جوان 1925م - رقم 1278.

أحمد توفيق المدني، صحفي، وعضو ذو نفوذ باللجنة المركزية، هو روح الحركة العملي، ومغرم بحزب الدستور.

إنه جزائري الأصل، ويبلغ من العمر ما بين 27 و28 سنة. ولقد كان معتقلاً أثناء الحرب العالمي ببلدة في أقصى الجنوب التونسي، بأمر من المقيم العام مسيو الابتيت[1] من أجل إنشاء معلقات ثورية تحمل حملة بلغت أشد القسوة ضد فرنسا[2].

ولقد كان يومئذ مشتهراً بتعلقه بالأتراك وبالجرمانيين. ثم إنه ابن وقريب لعائلات تونسية مستقرة باستانبول.

المصدر: أحمد توفيق المدني ،حياة كفاح، ج1 المصدر السابق، ص 474.

ملحق رقم (03):

بمناسبة سفر الوفد الثالث لباريس
الجالسون من اليمين إلى اليسار:
1 ـ الشاذلي خزنة دار. 2 ـ أحمد توفيق المدني. 3 ـ الطيب الجميل. 4 ـ أحمد الصافي. 5 ـ صالح فرحات. 6 ـ الشيخ صالح بن يحي...

الواقفون:
7 ـ زين العابدين السنوسي. 8 ـ محمد الجعايبي. 9 ـ حسين الجزيري. 10 ـ الطاهر آغا. 11 ـ علي بوكرداغة. 12 ـ عبد الرحمن العلاني. 13 ـ محمد الدين القلي...

المصدر: احمد توفيق المدني، حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق ،ص 393

ملحـق رقم (04)

في اللجنة السياسية للجامعة العربية توفيق المدني
والمرحوم كريم بلقاسم يقف خلفه المرحوم محمد يكن القسيري، ثم الأستاذ ابن الحسين والأستاذ كابويا.

المصدر: **أحمد توفيق المدني حياة كفاح، ج3 ،المصدر السابق ، ص 193.**

ملحق رقم (05)

كلمة توفيق المدني حول افتتاح نادي الترقي:

للشعب الجزائري اليوم أن يبتهج بتأسيس نادي ضخم بعاصمة الجزائر باسم "نادي الترقي". وهي خطوة واسعة إلى الأمام، وإن أردنا الإيضاح قلنا بل هي ثورة متى نضرنا إلى الركود الطويل أو الماضي المحاط بالغموض، أو إلى سبات مائة عام، وهي المدة التي أخذ فيها الاحتكاك بالمدينة الغربية يبعث بصريره هذه الأمة في سبات الأموات، وقيود الجهل والجمود وبما أن النوادي وكثرتها وانتظامها على النسق البديع وهو الميزان الذي توزن به الأمم في رقيها وأخذها بأسباب الحضارة، وكان من الميسور أن ينعت شعب الجزائر اليوم بأنه شعب دب فيه الشعور وأخذ فيه النهوض، والتخلص من ماضيه الحالك نظرا لتأسيس هذا النادي وهو بفخامته وضخامته الفنية خليق بأن يكون زينه للعواصم وتاجا وهاجا في جبين الحواضر، بل هو يستهوي الأفئدة ويخلب الألباب بما حول من مرافق كاملة، وأثاث نفيس وطنافس نقية، وزرابي مبثوثة، وموائد مرصوفة، وخزائن مصفّفة، وخمس قاعات واسعة بهيجة، أوسعها وأروعها البهو، وقاعة المحاضرات المطلة على بطحاء الحكومة، وكان مؤسسيه الكرام ما اجتمعوا في إخراجه على هذا القالب الجميل الجذاب إلا ليعدّوه للاضطلاع بأعباء عظيمة أكبر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو دليل على أن شبيبة الجزائر تعتمد على الحقائق والإنجازات وتستند على التفكير الرشيد، لا على مجرد الدعايات الفارغة[1].

لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق،ص344.

ملحق رقم (06)

1- الشاعر الكبير مفدي زكريا، 2- الأستاذ حمزة بوكوشة، 3- الشاعر الكبير أحمد سحنون
4- أحمد توفيق المدني، 5- الشهيد عبد الرحمن بن العقون، 6- الأستاذ محمد شرفة الأكحل
7- الأستاذ عمر العرباوي، 8- الأستاذ عبد الرحمن غريب.

المصدر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق، ص183.

الملحق رقم (07)

المجلس الاداري لجمعية العلماء بعد رئاسة الشيخ البشير الابراهيمي

المصدر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج2،المصدر السابق ،ص394.

ملحـق رقم (08)

المؤتمر الصحفي بالقاهرة (1956م)
أحمد توفيق المدني يلقي تصريحه وعلى يمينه الأستاذ محمد خيضر رحمه الله وعلى يساره الأستاذ عبد الوحدن كيوان.

المصدر: أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح، ج3 ،المصدر السابق ، ص 185.

ملحـق رقم (09)

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

الجالسون من اليمين إلى الشمال: أحمد توفيق المدني، دكتور محمد أمين الدباغين، الرئيس فرحات عباس، السيد كريم بلقاسم، الدكتور أحمد فرنسيس، الواقفون من اليمين الى اليسار: عبد الله بن طوبال، عبد الحفيظ بوالصوف، ابن يوسف ابن خدة، عبد الحميد مهري، محمود الشريف، محمد يزيد.

المصدر: احمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، المصدر السابق، ج3، ص 400.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنـــوان	الصفحة
الإهداء	
شكر و عرفان	
مقدمة	أ- د
الفصل الأول:سيرة أحمد توفيق المدني	05
أولا: النشأة الإجتماعيةوالتكوين الفكري والثقافي لاحمد توفيق المدني	06
1. المولد والنشاة	06
2. الاثار العلمية والتاريخية لاحمد توفيق المدني	09
ثانيا: موقف احمد توفيق المدني من اندلاع الثورة ومساهمته فيها	11
1. نشاط اخمد توفيق المدني قبل الثورة	11
2 -نشاطه الإعلامي والثقافي	17
3-المني وزيرا للثقافة في الخكومة الجزائرية المؤقتة	21
ثالثا: توفيق المدني في نظر رفقائه و معاصريه	25
الفصل الثاني :مواقف أحمد توفيق المدني من خلال كتابته التاريخية	28
أولا: مفهوم التاريخ عند توفيق المدني	29
ثانيا: الكتابة التاريخية من وجهة نظر المدني	30
ثالثا: الموروث الثقافي و التاريخي لأحمد توفيق المدني	31
رابعا: موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته	42
الفصل الثالث: الكتابة التاريخية بين المدرستين الفرنسية و الجزائرية	50
اولا: المدرسة التاريخية الإستعمارية	53
1. مرحلة ما قبل الاستعمار الفرنسي	51
2. المرحلة الإستعمارية	51
أ. المرحلة من (1830- 1880م)	52
ب. المرحلة الثانية من 1880 حتى الإستقلال	52
ثانيا: موقف المدرسة التاريخية الفرنسية من المقاومات الشعبية	53
ثالثا: المؤرخين الفرنسين و كتاباتهم التاريخية كلود فانتان نموذجا	55
1. موقف فانتان من الكتابات الفرنسية	55
2. موقف فانتان لبعض المؤرخون المغاربة	56
رابعا: المدرسة التاريخية الجزائرية و إنجازاتها	56
1. المدرسة التاريخية الجزائرية	56

2. انجازاتها	58
الخاتمة	61
الملاحق	64
البيبلوغرافيا	74
فهرس الموضوعات	80